

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ] (آل عمران : 102)

[يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا] (النساء : 1)

[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِغِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا] (الأحزاب : 70 ، 71)

ثم أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار .

ففي مثل هذه الازمنة الغابرة التي استولت فيها الغفلة على القلوب ، وضعفت فيها العين المتطلعة إلى الآخرة فلا تكاد ترى ، وظن الناس أن السعيد من فاز في الدنيا بشهواتها ، ومن وصل إلى جاهها وسلطانها ، والشقى من حرم هذا الخير

العظيم والرزق الكريم وهذا من الغفلة الشنيعة والجهل البليغ بالسعادة الحقيقية والشرف العظيم الذى جعله الله عز وجل للمتقين فى الحياة ويوم يقوم الناس لرب العالمين ولو ذاقت قلوب أهل الدنيا شيئاً من مواجيد أهل التقوى وما يجدونه من العزة والشرف فى الدنيا مع ما ينتظرهم من سعادة الآخرة ونعيمها لأكلوا أصابعهم ندماً وحسرة على ما فاتهم من الخير ويفوتهم إذا استمرت غفلتهم ،

فالتقوى كما قال الغزالي رحمة الله : كنز عزيز، فلئن ظفرت به كم تجد فيه من جوهر شريف ، وخير كثير ، ورزق كريم ، وفوز كبير ، وغنم جسيم ، وملك عظيم ، فكأن خيرات الدنيا والآخرة جمعت فجعلت تحت هذه الخصلة الواحدة التى هى تقوى الله ، وتأمل ما فى القرآن من ذكرها فكم علق بها من خير وكم وعد عليها من خير وثواب وكم أضاف إليها من سعادة ⁽¹⁾ .

فاهل التقوى هم ملوك الدنيا كما أنهم ملوك الآخرة وهم وأهل السعادة الحقيقية والشرف العظيم فى الدنيا والآخرة كما قال تعالى : [وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى] (طه : 132)

وقال تعالى : [وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ] (الزخرف : 35)

وأنت يا أختي الكريم معنى فى هذا الكتاب نسير مع التقوى فى كل باب لعلنا وإياك عند الختام يمن الله علينا بالتوبة النصوح وما لها من الفتوح ويجعلنا من المتقين ، الذين تفر أعينهم فى الدنيا بالطاعات وفى الآخرة بالجنات ، وقد جمعت لك فى هذا الكتاب من المعانى الشريفة ، والفوائد اللطيفة ما تنشرح له القلوب ، وتقرب به من علام الغيوب وغفار الذنوب ، فبدأت بذكر معانى التقوى وأقسامها ، وثبتت بذكر شرفها وخطرها ، وثم اجتهدت فى الباب الثالث فى بيان ما تتطلع إليه قلوب اصحاب الهمم العالية والنفوس الأبية

وهو فى بيان كيف تتقى الله عز وجل وذكرت لك خمسة وسائل :
الأولى محبة الله عز وجل ،
والثانية فى استحضر المراقبة والحياء ،

والثالثة فى معرفة ما فى طريق الحرام من الشرور والالام ،
والرابعة فى بيان كيف تغالب هواك وتطيع مولاك ،
والخامسة فى معرفة مكائد الشيطان ومصائده ، والحذر من وساوسه
ودسائسه ،

ثم زدتك تشريفا وتعريفا باصحاب الرتب العالية والدرجات الرفيعة السامية،
بذكر صفات المتقين ، وختمت بحسن الختام ، وهو رحله فى رياض التقوى
ننزة قلوبنا وابصارنا برؤية ثمرات التقوى العاجلة والآجلة.

والامر كما يقال :

طبيب يداوى والطبيب سقيم

ولولا ما نطمع فيه من رحمة الله وعفوه وكرمه ، وان لا نحرم دعوة سالحة
من اخ كريم لتقطعت القلوب ياسا من النفوس وصلاحها وقلة تقواها ، ولا
تظن ان من تكلم عن التقوى فقد صار بذلك من المتقين ، فما اظهر الفرق
بين العلم بوجوه الغنى واكتساب الاموال وهو فقير وبين العلم بأسباب
الصحة وهو سقيم ، ولكن نرجو بذكر القوم ومحبتهم ان نجد ريحا من اثار
غبارهم او ان نلحق ولو بساقاتهم

وكما قال بن الجوزى رحمة الله :

إن صدقت فى طلابهم فانهض وبادر، ولا تستصعب طريقهم فالمعين قادر،
تعرض لمن اعطاهم وسل فمولاك مولاهم ، رب كنز وقع به فقير ، ورب
فضل اختص به صغير ، علم الخضر ما خفى على موسى وكشف لسليمان
ما خفى على داود⁽¹⁾ .

⁰¹ المدهش لابن الجوزى (428) بتصرف دار الكتب العلميه

وسوف تجد فى صحبة هذا الكتاب ومبانيه ما يبين لك شرف معانيه ، فتجد شرف التقوى فى طياته وسعادتها ين وريقاته ،

نسأل الله أن يجعلنا من أهلها وأن يقسم لنا من كنوزها وثمراتها . وأن يبارك فى هذا الكتاب وفى جامعة وناشره ومن قرأه يلتمس الهداية والتوفيق ، والله الهادى لاقوم طريق فهو الذى تفر القلوب بمحبته فى الدنيا ورؤيته فى الجنة ،
وصلى الله على رسوله المصطفى واله واصحابه ومن اتبع السنة وسلم تسليمًا .

وكتبه
الشيخ / أحمد فريد

معنى التقوى ومراتبها

□ **المعنى اللغوى :** قال فى المصباح : وقاه الله السوء وقاية :
حفظه

والوقاء مثل كتاب كل ما وقيت به شيئاً ، وروى أبو عبيد عن الكسائى الفتح فى (الوقاية) و (الوقاء) أيضاً و (اتقيت) الله (اتقاءً) و (التقية) و (التقوى) اسم منه والتاء مبدله من واو والأصل (وقى) أهـ (1).

□ **المعنى الشرعى :** اختلفت تعبيرات العلماء فى تعريف التقوى مع أن الجميع يدور حول مفهوم واحد ، وهو أن يأخذ العبد وقايته من سخط الله عز وجل وعذابه ، وذلك بامتنال المأمور واجتناب المحذور .

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله :
وأصل التقوى أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه منه فتقوى العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك ، وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه ، وتاثره تضاف التقوى إلى اسم الله عز وجل ، كقوله تعالى : [**وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**] (المائدة : 96)
[**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**]
..... (الحشر : 18)

فإذا اضيفت التقوى إليه سبحانه وتعالى فالمعنى اتقوا سخطه وغضبه وهو أعظم ما يتقي ، وعن ذلك ينشأ عقابة الدينوى والاخرى ، قال تعالى [**وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ**] (آل عمران : 28)

وقال تعالى [**هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ**] (المدثر : 56)

فهو سبحانه أهل ان يخشى ويهاب ويجل ويعظم فى صدور عباده ، حتى يعبدوه ويطيعوه ،
لما يستحقه من الإجلال والإكرام ، وصفات الكبرياء والعظمة وقوة البطش .

(1) المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير للرافعى (669) - دار المعارف .

وفى الترمذى عن انس عن النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه الاية :
[هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى] قال الله تعالى : **(أنا أهل التقوى
 فمن اتقانى فلم يجعل معى إلهاً آخر فأنا أهل أن أغفر له)** ⁽¹⁾
 وتارة تضاف التقوى إلى عقاب الله ، أو إلى مكانه كالنار ، أو إلى زمانه كيوم
 القيامة

كما قال تعالى : **[وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ]** (آل
 عمران : 131)
 وقال تعالى : **[فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ
 لِلْكَافِرِينَ]** (البقره : 24)
 وقال تعالى : **[وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ]**
 (البقره : 281)
 وقال تعالى : **[وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا]**
 (البقره : 48)

ويدخل فى التقوى الكاملة فعل الواجبات وترك المحرمات والشبهات وربما
 دخل فيها بعد ذلك فعل المندوبات وترك المكروهات.

قال تعالى : **[الم ~ (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ
 (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ
 يُنْفِقُونَ (3) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ
 وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ]** ⁽²⁾ (البقره : 1 - 4)

وقال ابن القيم رحمه الله :

وأما التقوى فحقيقتها العمل بطاعة الله إيماناً واحتساباً ، أمراً ونهياً ، فيفعل
 ما أمر الله به إيماناً بالأمر وتصديقاً بوعدده ، ويترك ما نهى الله عنه إيماناً
 بالنهى وخوفاً من وعيده ،

كما قال طلق بن حبيب : " إذا وقعت الفتنة فأطفئوها بالتقوى . قالوا : وما
 التقوى ؟ قال : أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله ، وأن
 تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله " .

(1) رواه أحمد (3 / 142 ، 243) وابن ماجه (4299) الزهد ، والدرامى (2 / 303) الرقاق ، وضعفه
 الألبانى .

(2) جامع العلوم والحكم (148 - 149) بأختصار .

وهذا من أحسن ما قيل فى حد التقوى ، فإن كل عمل لا بد له من مبدأ وغاية ، فلا يكون العمل طاعة وقرية حتى يكون مصدره عن الإيمان فيكون الباعث عليه هو الإيمان المحض لا العادة ولا الهوى ولا طلب المحمدة والجاه وغير ذلك ، بل لابد أن يكون مبدأه محض الإيمان وغايته ثواب الله وابتغاء مرضاته وهو الإحتساب .

ولهذا كثيراً ما يقرن بين هذين الاصلين فى مثل قول النبى صلى الله عليه وسلم :

(من صام رمضان إيماناً واحتساباً)⁽¹⁾ ، (ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً)⁽²⁾

ونظائره . فقوله : (على نور من الله) إشارة إلى الأصل الأول وهو مصدر العمل والسبب الباعث عليه . وقوله (ترجو ثواب الله) إشارة إلى الأصل الثانى وهو الإحتساب ، وهو الغاية التى لأجلها توقع العمل ويقصد به⁽³⁾ .

وقال العلامة نعمان بن محمود الألوسى رحمه الله :
وفى تحفة الإخوان : التقوى إمتثال الاوامر واجتناب النواهى ولها ثلاث مراتب :

الاولى : التوقى من العذاب المخلد بالتبرى من الشرك وعليه قوله تعالى :
[وَالزَّمَّهُمْ كَلِمَةً
التَّقْوَى] (الفتح : 26)

والثانية : التجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك حتى الصغائر عند قوم ، وهو المتعارف بالتقوى فى الشرع وهو المعنى بقوله تعالى : [وَلَوْ أَنَّ
أَهْلَ الْفُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا]

(الاعراف : 96) وعلى هذا قول عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه :
التقوى ترك ما حرم الله وأداء ما افترض الله ، فما رزق الله بعد ذلك فهو خير إلى خير .

(1) رواه البخارى (115 / 4) الصوم

(2) رواه البخارى (255 / 4) فضل ليلة القدر ، ومسلم (40 / 6 ، 41) صلاة المسافرين

(3) الرسالة التبوكيه بتحقيق أشرف عبد المقصود ونشر مكتبة التوعيه الإسلاميه (15 - 17)

والثالثة : أن يتنزّه عما يشتغل سره عن الله تعالى ، وهذه هي التقوى الحقيقية المطلوبة بقوله تعالى : **[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ]** (آل عمران : 102)

وقال ابن عمر : لا ترى نفسك خيراً من أحد .⁽¹⁾
وقال الغزالي رحمة الله :

اعلم أولاً - برك الله فى دينك وزاد فى يقينك - أن التقوى فى قول شيوخنا رحمهم الله هى تنزيه القلب عن ذنب لم يسبق عنك مثله ، حتى تحصل لك من القوة والعزم على تركه وقاية بينك وبين المعاصى .
فإذن لما حصلت وقاية بين العبد وبين المعاصى من قوة عزمه على تركها ، وتوطين قلبه على ذلك ، فيوصف حينئذ بأنه متق ، ويقال لذلك التنزيه والعزم والتوطين : التقوى .

والتقوى فى القرآن : تطلق على ثلاثة اشياء : أحدهما بمعنى الخشية والهبة

قال تعالى : **[وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ]** (البقرة : 41) وقال تعالى : **[وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ]** (البقرة : 281) ، والثانى بمعنى الطاعة والعبادة قال الله تعالى :

[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ] (آل عمران : 102)
قال ابن العباس رضى اله عنهما : اطيعوا الله حق طاعته .
وقال مجاهد : هو أن يطاع فلا يعصى وأن يذكر فلا ينسى وأن يشكر فلا يكفر

والثالث : بمعنى تنزيه القلب عن الذنوب ، فهذه هى الحقيقة عن التقوى دون الأولين ألا ترى أن الله يقول **[وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ]** (النور : 52) ذكر الطاعة والخشية ثم ذكر التقوى ، فعلمت أن حقيقة التقوى معنى سوى الطاعة والخشية ، وهى تنزيه القلب عما ذكرناه ،

ثم قالوا : منازل التقوى ثلاثة :

تقوى عن الشرك وتقوى عن البدعة ، وتقوى عن المعاصى الفرعية ، ولقد ذكرها الله تعالى فى آية واحدة وهى قوله جل من قائل :

(1) غالية المواعظ ومصباح المنعظ وقبس الواعظ (2 / 48) دار المعرفه .
وقول ابن عمر رضى الله عنهما يشير إلى نوع من التقوى وليست التقوى الكامله ، وأصح من ذلك أن يقال هو نوع من الزهد ، وهو الزهد فى النفس ، والزهد فى النفس أقصى غاية الزهد .

[لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا ...] ... (المائدة : 93)

فالتقوى الأولى عن الشرك ، والإيمان الذى فى مقابلتها التوحيد ، والتقوى الثانية من البدعة ، والإيمان الذى ذكر معها إقرار عقود السنة والجماعة ، والتقوى الثالثة عن المعاصى الفرعية ، ولا إقرار فى هذه المنزلة فقابلها بالإحسان وهو الطاعة والاستقامة عليها ، فتكون منزلة السنة ، ومنزلة استقامة الطاعة .

قال : وأنا وجدت التقوى بمعنى اجتناب فضول الحلال ، وهو ما روى فى الخبر المشهور عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : **(إنما سُمى المتقون متقين لتركهم ما لا بأس به حذراً عما به بأس)** ⁽¹⁾ .

فهذه أقوال العلماء فى معنى التقوى وأقسامها ولا شك أن اسم التقوى يسع ما ذكر ، وأحوال الناس معها لا تعارض ذلك ، فمن الناس من يقى نفسه الخلود فى النار ، وذلك بالإقرار بالتوحيد وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم ولكنه لا يقى نفسه خلود النار بالكلية ، فيفترط فى الواجبات ويتلبس بالمخالفات ، فهذا نوع من التقوى وإن كان فى أدنى درجاتها ، ولا يستحق صاحبها إسم المتقى بإطلاق ، لأنه متعرض للعذاب مستحق للعقاب ، إن لم تتداركه رحمة الله فإنه تعالى لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ،

(1) منهاج العابدين (74 ، 75) بتصرف مكتبة الجندى .

والحديث رواه الترمذى (278 / 9) ، القيامه وقال : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وابن ماجه (4215) الزهد ، والحاكم (319 / 4) الرقاق وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى وقال الألبانى : هذا عجب منه فإن عبد الله بن يزيد لم يوثقه أحد وضعفه فى بلوغ المرام (871) وضعيف ابن ماجه (924) .

ومن الناس من يتقى الكفر وكبائر الذنوب إلا إنه لا يتورع عن الصغائر ولا يكثر من النوافل .

فلا شك أنه أقرب للنجاة لقول الله عز وجل: [**إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُهَوِّنُ عَنْهُ نُكْفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا**]
(النساء : 31) وقوله صلى الله عليه وسلم : **(الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر)**.⁽¹⁾

إلا أن لم يأخذ الجنة الكاملة من النار ، فلا بد أن يكون هناك من التقصير فى الفرائض والوقوع فى الصغائر التى يخشى من المداومة عليها التجرؤ على الكبائر ، وليس له من نوافل الطاعات واجتناب الشبهات والمكروهات ما يكمل به تقوى العبد ،

لذا قال الله عز وجل : [**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ**]
(آل عمران : 102)

فالتقوى الحقيقية هى أن يجتهد العبد فى ترك الذنوب كلها صغارها وكبارها ، ويجتهد فى الطاعات كلها الواجبات والنوافل ما استطاع ، لعل كثرة النوافل تعوض ما قد يعرض من تقصير واجتناب الصغائر يجعل بين العبد وبين الكبائر جنة حصينة كما قال عز وجل : [**فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ**]
(التغابن : 16)

فمثل هذا يستحق اسم المتقى ، واجتهاده فى الطاعات كلها من الواجبات والنوافل وترك المعاصى ما استطاع من كبائر وصغائر وترك ما لا بأس به حذراً مما به بأس هو التقوى التى دارت عليها أقوال السلف .

قال ابو الدرداء : تمام التقوى أن يتقى الله العبد حتى يتقيه من مثقال ذرة ، وحتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراماً ، يكون حجاباً بينه وبين الحرام ، فإن الله قد بين للعباد الذى يصيرهم إليه فقال :
[**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**]
(الزلزله : 7-8)

فلا تحقرن شيئاً من الخير أن تفعله ولا شيئاً من الشر أن تتقيه .

(1) رواه مسلم (118 , 117 / 3) الطهاره ، والترمذى (15 - 14 / 2) الصلاه .

قال الحسن : ما زالت التقوى بالمتقين حتى تركوا كثيراً من الحلال مخافة الحرام .

وقال الثوري : إنما سموا متقين لأنهم اتقوا ما لا يتقى .

وقال موسى بن أعين : المتقون تنزهوا عن أشياء من الحلال مخافة أن يقعوا في الحرام فسامهم الله متقين .

وقال ميمون بن مهران : المتقى أشد محاسبة لنفسه من الشريك الشحيح لشريكه .

وقال ابن مسعود فى قوله تعالى : [اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ] (أل عمران : 102)

قال : أن يطاع فلا يعصى ، ويذكر فلا ينسى ، ويشكر فلا يكفر . (1)

قال ابن رجب رحمه الله :

وشكره يدخل فيه جميع فعل الطاعات ومعنى ذكره فلا ينسى : ذكر العبد بقلبه لأوامر الله فى حركاته وسكناته وكلماته فيتمثلها ، ولنواهيه فى ذلك كله فيجتنبها ، وقد يغلب استعمال التقوى على اجتناب المحرمات ، كما قال أبو هريره وسئل عن التقوى فقال :

هل أخذت طريقاً ذا شوك ؟ قال : نعم ، قال : فكيف صنعت ؟ قال : إذا رايت الشوك عزلت عنه أو جاوزته أو قصرت عنه : قال ذاك التقوى .

وأخذ هذا ابن المعتمر وقال :

خل الذنوب صغيرها

واصنع كماش فوق

يرى

ولا تحقرن صغيرة

وكبيرها فهو التقى

أرض الشوك يحذر ما

إن الجبال من الحصى

(1) رواه الحاكم (2 / 294) التفسير ، دون قوله : " وأن يشكر فلا يكفر " وقال على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبى .

وأصل التقوى أن يعلم العبد ما يتقى ثم يتقى .

ذكر معروف الكرخي عن بكر بن خنيس قال : كيف يكون متقياً من لا يدري ما يتقى ؟ ثم قال معروف الكرخي : إذا كنت لا تحسن تتقى أكلت الربا ، وإذا كنت لا تحسن تتقى لقيتك امرأة فلم تغض بصرك ، وإذا كنت لا تحسن تتقى وضعت سيفك على عاتقك .⁽¹⁾

وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة سعيد بن مسلم . قال سعيد : لقد حدثني سليمان بن المغيرة أنه عمل ذنباً فاستصغره فأتاه أت في منامه فقال له يا سليمان :

لا تحقرن من الذنوب صغيراً إن الصغير ولو تقادم عهده فازجر هواك عن البطالة لا تكن تشميراً	إن الصغير غداً يعود كبيراً عند الإله مسطراً تسطيراً صعب القياد وشمراً
إن المحب إذا أحب إلهه فاسأل هدايتك الإله فتتد	طار الفؤاد وألهم التفكير فكفى بربكم هادياً ونصيراً

وقال الإمام أحمد رحمة الله : التقوى هي ترك ما تهوى لما تخشى .
وقيل : هي الخوف من الجليل ، والرضا بالتنزيل ، والإستعداد ليوم الرحيل .
وقيل : هي أن لا يراك الله حيث نهاك ، ولا يفقدك حيث أمرك .
وقيل : هي علم القلب بقرب الرب .

نسأل الله أن يهدينا سواء السبيل ، وأن يغفر لنا ما بدا من تقصير ، وأن يدخلنا برحمته في شفاعة البشير النذير فقد بان بما ذكرنا عن التقوى فقرنا من أقسامها ومعانيها وإفلاسنا من أعلامها ومبانيها.

(1) باختصار من جامع العلوم والحكم (140 - 150) .

شرف التقوى وأهميتها

1- التقوى وصية الله عز وجل للأولين والآخرين

قال الله تعالى : [وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ (النساء: 131)]

قال الغزالي :

أليس الله تعالى أعلم بصلاح العبد من كل أحد ، أو ليس هو أنصح له وارحم وأرف من كل أحد ، ولو كانت في العالم خصلة هي أصلح للعبد ، وأجمع للخير وأعظم للأجر ، وأجل في العبودية ، وأعظم في القدر ، وأولى بالحال ، وأنجح في المال ،

من هذه الخصلة التي هي التقوى، لكان الله تعالى أمر بها عبادة ، وأوصى خواصه بذلك لكمال حكمته وسعة رحمته ،

فلما أوصى بهذه الخصلة الواحد ، وجمع الأولين والآخرين من عباده في ذلك واقتصر عليها ، علمت أنها الغاية التي لا متجاوز عنها ، ولا مقصود دونها ، وأنه عز وجل قد جمع كل نصح ودلالة وإرشاد وتنبيه وتأييد وتعليم وتهذيب في هذه الخصلة التي هي التقوى هي الجامعة لخيري الدنيا والآخرة الكافية لجميع المهمات المبلغة إلى أعلى الدرجات .

وهذا أصل لا مزيد عليه ، وفيه كفاية لمن أبصر النور واهتدى وعمل بذلك واستغنى

والله ولى الهداية والتوفيق بمنه. (1)

(1) منهاج العابدين (72 ، 73) باختصار .

2- التقوى وصية النبي صلى الله عليه وسلم لأُمَّته

عن العرياض بن سارية قال : (**صلى بنا رسوله الله صلى الله عليه وسلم الصبح فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال قائل : يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا فقال : أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشياً ، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة**) .⁽¹⁾

قوله : " **أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة** " .

قال ابن رجب رحمه الله :
فهاتان الكلمتان تجمعان سعادة الدنيا والآخرة ، أما التقوى فهي كافلة سعادة الدنيا والآخرة لمن تمسك بها ، وهي وصية الله للأولين والآخرين ، وأما السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين ففيها سعادة الدنيا ، وبها تنظم مصالح العباد في معاشهم ، وبها يستعينون على إظهار دينهم وطاعة ربهم .⁽²⁾

وعن أبي ذر جندب بن جنادة وأبي عبد الرحمن معاذ بن جبل رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**اتق الله حيث ما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن**)⁽³⁾ وقوله صلى الله عليه وسلم : "حيثما كنت" أي : فى السر والعلانية ، حيث يراه الناس وحيث لا يرونه .

(1) رواه أحمد (4 / 126 - 127) ، وأبو داود (4583) السنه ، والترمذى (2676) العلم ، وابن ماجه (34) ، والدرامى (1 / 44 - 54) المقدمه ، والبيهقى (1 / 205) شرح السنه وقال الترمذى : هذا حسن صحيح ، وصححه الألبانى .

(2) جامع العلوم والحكم (247) باختصار .

(3) رواه الترمذى (8 / 155) البر ، وقال : هذا حسن صحيح ، وأحمد (5 / 158) وحسنه الألبانى (1618) صحيح الترمذى .

وعن أبى هريره رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى عليه وسلم يوماً لأصحابه (من يأخذ عنى هؤلاء الكلمات فيعمل بهن ، أو يعلم من يعمل بهن ؟ قال أبو هريره: قلت : أنا يا رسول الله ، فأخذ بيدي وعد خمساً فقال : اتق المحارم تكن أعبد الناس ، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس ، وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً ، واحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً ، ولا تكثر الضحك ، فإن كثرة الضحك تميت القلب) .⁽¹⁾

وعن أبى أمامه قال : سمعت رسول الله صلى عليه وسلم يخطب فى حجة الوداع فقال :
(اتقوا الله وصلوا خمسكم ، وصوموا شهركم ، وادوا زكاة أموالكم ، وأطيعوا ذا أمركم تدخلوا جنة ربكم) .⁽²⁾

وعن أبى سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى اله عليه وسلم (أوصيك بتقوى الله تعالى فإنه رأس كل شئ وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام ، وعليك بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن ، فإن روحك فى السماء وذكرك فى الأرض) .⁽³⁾

وعن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى اله عليه وسلم (أوصيك بتقوى الله فى سر أمرك وعلانيته ، وإذا أسأت فأحسن ، ولا تسألن احداً شيئاً ، ولا تقبض أمانة ولا تقض بين اثنين) .⁽⁴⁾

(1) رواه الترمذى (9 / 183 - 184) الزهد ، وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث جعفر بن سليمان ،
و رواه أحمد (2 / 310) ، وابن ماجه (4217) الزهد بمعناه وحسنه الألبانى ، وكذا فى تحقيق جامع الأصول .

(2) رواه الترمذى (6111 تحفة) الصلاة ، وقال: هذا حديث حسن صحيح، رواه أحمد (5 / 251) ،
والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبى وصححه الألبانى .

(3) رواه أحمد (3 / 82) وحسنه الألبانى بشأهده وهو فى الصحيحة رقم (555) .

(4) رواه أحمد (5 / 181) وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع رقم (2541) .

وعن ابى هريره رضى الله عنه قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (**اوصيك بتقوى الله
والتكبير على كل شرف**) .⁽¹⁾

وكان دعاء النبى صلى الله عليه وسلم : (**اللهم أت نفسى تقواها ،
وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها**) .⁽²⁾

(1) رواه أحمد (2 / 325 - 331) ، وابن ماجه (2771) الوصايا ، والحاكم (1 / 445-446) (2 / 98) وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وقال الألبانى فى الصحيحة (1730) وهو كما قالا إلا أن أسامه بن زيد الليثى فيه كلام يسير حسن الأسناد .

(2) رواه مسلم (17 / 41) بزياده فى أوله وأخره ، وأحمد (4 / 371) ، (6 / 209) بلفظ رب أعط نفسى تقواها .

3- التقوى هى وصية جميع الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام

قال تعالى : [كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (105) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ]
(الشعراء : 105 - 106)

قال تعالى : [كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ (123) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ]
(الشعراء : 123 - 124)

وقال تعالى : [كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (141) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ]
(الشعراء : 141 - 142)

وقال تعالى : [كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (160) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ]
(الشعراء : 160 - 161)

وقال تعالى : [وَإِذْ يَأْتِي رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَنْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (10) قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ] (الشعراء : 10 - 11)

ولا شك ان الرسل هم أركى البشر وانصح الناس لهم ، فلو علموا أن هناك خصلة للناس انفع لهم من التقوى لما عدلوا عنها ، فلما اجمعوا عليها بان خطرها وعظم موقعها وشرفها نسأل الله أن يجعلنا من أهلها العاملين بها والمتعاونين عليها.

4- التقوى وصية السلف الصالح رضى الله عنهم

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله : ولم يزل السلف الصالحون يتواصون بها :
كان أبو بكر رضى الله عنه يقول فى خطبته : أما بعد فإنى أوصيكم بتقوى
لله ، وان تشنوا عليه بما هو أهله ، وان تخلطوا الرغبة بالرهبة ، وتجمعوا
الإلحاف بالمسالة

فإن الله عز وجل أثنى على زكريا وأهل بيته فقال: [إِنَّهُمْ كَانُوا
يُتَسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا
خَاشِعِينَ] (الانبياء : 90)

ولما حضرته الوفاة وعهد إلى عمر دعاه فوصاه بوصيته ، وأول ما قاله له :
اتق الله يا عمر .

وكتب عمر إلى ابنه عبد الله : أما بعد ، فإنى أوصيك بتقوى الله عز وجل ،
فإنه من اتقاه وقاه ، ومن أقرضه جزاه ، ومن شكره زاده ، واجعل التقوى
نصب عينيك ، وجلاء قلبك .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى رجل : أوصيك بتقوى الله عز وجل ، والتي لا
يقبل غيرها ، ولا يرحم إلا أهلها ، ولا يثاب إلا عليها ، فإن الواعظين بها كثير ،
والعاملين بها قليل ،
جعلنا الله وإياك من المتقين .

ولما ولى خطب فحمد الله وأثنى عليه وقال : أوصيكم بتقوى الله عز وجل ،
فإن تقوى الله
عز وجل خلف من كل شئ ، وليس من تقوى الله خلف .

وقال رجل ليونس بن عبيد :
أوصنى ، فقال : أوصيك بتقوى الله والإحسان ، فإن الله مع الذين اتقوا
والذين هم محسنون .

وكتب رجل من السلف إلى أخ له : أوصيك بتقوى الله فإنها من أكرم ما أسررت ، وأزين ما أظهرت ، وأفضل ما ادخرت أعاننا الله وإياك عليها وأوجب لنا ولك ثوابها.

وقال شعبه : كنت إذا أردت الخروج قلت للحكم : ألك حاجة فقال : أوصيك بما أوصى به النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل : **(اتق الله حيث ما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن)** .⁽¹⁾

وقال ابن القيم رحمه الله : ودع ابن عون رجلاً فقال : عليك بتقوى الله فإن المتقى ليست عليه وحشه .

وقال زيد بن أسد : كان يقال : من اتقى الله أحبه الناس وإن كرهوا .

وقال الثوري لابن أبي ذئب : إن اتقيت الله كفاك الناس ، وإن اتقيت الناس لن يغنوا عنك من الله شيئاً .⁽²⁾

(1) ، (2) باختصار من جامع العلوم والحكم (150 - 151) والحديث تقدم تخريجه صفحة .

5- التقوى أجمل لباس يتزين به العبد

قال الله تعالى : [يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ] (الاعراف : 26)

فبعد ان تمنن الله عز وجل على عبادة بما جعل لهم من اللباس والريش .
واللباس ما يستر به العورات ، والريش والرياش ما يتجمل به - فالاول من
الضروريات والثاني من الزيادات التكميليات - دلهم على أفضل لباس وهو
ما يوارى عورات الظاهر والباطن ويتجمل به ، وهو لباس التقوى .

قال القرطبي رحمه الله : قوله تعالى : " وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ "
يبين ان التقوى خير لباس
كما قيل (1) :

تقلب عريانا	اذا المرء لم ثيابا من التقى
	وان كان كاسيا
ولا خير فيمن	وخير لباس المرء طاعة ربه
	كان عاصيا (2)

وروى قاسم بن مالك عن عوف عن معبد الجهني قال : (لباس التقوى)
الحياء .

وقال ابن عباس : (لباس لتقوى) هم العمل الصالح . وعنه أيضا : السمات
الحسن في الوجه .

وقيل : ما علمه الله عز وجل وهدى به .

ومن قال إنه لبس الخشن من الثياب فإنه أقرب إلى التواضع وترك
الرعونات فدعوى ، فقد كان الفضلاء من العلماء يلبسون الرفيع من الثياب
مع حصول التقوى . (3)

(1) الفوائد (17) دار الدعوة الإسكندرية .

(2) البيتان منسوبان لأبي العتاهيه .

(3) الجامع لأحكام القرآن (3 / 2620 - 2621) باختصار

6- التقوى هى أفضل زاد يتزود به العبد

قال الله عز وجل : [وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ] ...
..... (البقرة : 197)

قال ابن كثير رحمة الله :
وقوله : " فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى " لما أمرهم بالزاد للسفر فى الدنيا ،
أرشدهم إلى زاد الآخرة ، وهو استصحاب التقوى إليها ، كما قال تعالى : "
وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ "
لما ذكر اللباس الحسى ، نبه مرشداً إلى اللباس المعنوى ، وهو الخشوع
والطاعة والتقوى ، وذكر أنه خير من هذا وأنفع ، قال عطاء الخرساني فى
قوله : " فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى "
يعنى زاد الآخرة. (1)

وقال الزمخشري رحمة الله : أى اجعلوا زادكم إلى الآخرة اتقاء القبائح ،
فإن خير الزاد اتقائها وقيل : كان أهل اليمن لا يتزودون ويقولون نحن
متوكلون ، ونحن نحج بيت الله أفلا يطعمنا فيكونون كلاً على الناس ، فنزلت
فيهم ،
ومعناه : وتزودوا واتقوا الاستطعام وإبرام (2) الناس والتثقيب عليهم
فإن خير الزاد التقوى : " وَاتَّقُونِ " : وخافوا عقابى " يَا أُولِي الْأَلْبَابِ "
يعنى : أن قضية اللب تقوى الله ومن لم يتقيه من الألباء فكأنه لا لب له . (3)

(1) تفسير القرآن الكريم (1 / 239) دار المعرفه .

(2) أي إملالهم وإضجارهم .

(3) الكشاف (1 / 244) الريان .

7- أهل التقوى هم أولياء الله عز وجل وهم أكرم الناس

قال تعالى: [أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ] (يونس : 62 - 63)
وقال تعالى: [هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٌ] (الجاثية : 19)

وقال عز وجل مبينا أنه لا يستحق الولاية إلا أهل هذه المنزلة العالية والرتبة السامية
فقال عز وجل: [إِنَّ أَوْلِيَاءَهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ] (الأنفال : 34)

وجعل الله عز وجل التقوى هى الميزان الحق الذى يوزن به الناس ، لا ميزان الحسب والنسب والمال والشهرة ، فقال عز وجل: [إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ] (الحجرات : 13)
وهذا الميزان كذلك هو ميزان النبى صلى الله عليه وسلم .

عن أبى هريره رضى الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكرم الناس؟
قال (اتقاهم لله) (1) ،

قال الشنقيطى رحمه الله : إن الفضل والكرم إنما هو بتقوى الله لا بغيره من الأنتساب إلى القبائل ، ولقد صدق من قال :
فقد رفع الإسلام سلمان فارس
الشريف أبا لهب
وقد ذكروا أن سلمان رضى الله عنه كان يقول :
أبى الإسلام لا أب لى سواه
إذا افتخروا بقيس أو
تميم

(1) رواه البخارى (417 / 6) أحاديث الأنبياء .

فأكرم الناس وافضلهم أتقاهم لله ولا كرم ولا فضل لغير المتقى ولو كان رفيع النسب .⁽²⁾

(2) أضواء البيان (635 / 7) بتصرف .

8- ولشرف التقوى أمر الله عز وجل المسلمين بالتعاون عليها ونهاهم عن التعاون على ما يخالفها

قال تعالى : [وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ] (المائدة : 2)

قال القرطبي رحمة الله :

قال الماوردي : ندب الله سبحانه إلى التعاون بالبر وقرنه بالتقوى لله ، لأن في التقوى رضا الله تعالى ، وفي البر رضا الناس ، ومن جمع بين رضا الله تعالى ورضا الناس فقد تمت سعادته وعمت نعمته.

وقال بن خويذ منداد في احكامه : والتعاون على البر والتقوى يكون بوجوه ، فواجب على العالم ان يعين الناس بعلمه فيعلمهم ، ويعينهم الغنى بماله والشجاع بشجاعته في سبيل الله ، وان يكون المسلمين متظاهرين كاليد الواحدة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (المسلمون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم) .⁽¹⁾

وقال القاسمي رحمة الله :

وفي "الإكليل" استدل المالكية بالآية على بطلان إجارة الإنسان نفسه لجمال خمر ونحوه ، ويبيع العنب لعصره خمراً ، والسلاح لمن يعصى به وأشباه ذلك انتهى وهو متجه.⁽²⁾

(1) الجامع لأحكام القرآن (3 / 2044) والحديث رواه أبو داود (4507) الديات ، وابن ماجه (2683) الحدود وصححه الألباني .

(2) محاسن التأويل (6 / 25) بتصرف .

وقال ابن القيم رحمة الله:
وقد اشتملت هذه الآية على جميع مصالح العباد في معاشهم ومعادهم فيما
بينهم بعضهم بعضا وفيما بينهم وبين ربهم ، فإن كل عبد لا ينفك عن هاتين
الحالتين ، وهذين الواجبين : واجب بينه وبين الله ، وواجب بينه وبين الخلق ،
فأما ما بينه وبين الخلق من المعاشرة والمعاونة والصحبة فالواجب عليه
فيها أن يكون اجتماعه بهم وصحبته لهم متعاوناً على مرضاة الله وطاعته ،
التي هي غاية العبد وفلاحه ،
ولا سعادة له إلا بها ، وهي البر والتقوى ، الذين هما جماع الدين كله. (1)

(1) الرسالة التبوكيه (12) .

كيف تتقى الله عز وجل

هذا باب لا يدخل فيه إلا النفوس الفاضلة الشريفة الأبية ، التي لا تقنع بالدون ، ولا تتبع الأعلى بالأدنى بيع العاجز المغبون .

فبعد أن بينا شرف التقوى وتشوقت النفوس إليها فقد يقول قائل :
بالله عليك كيف أحوز هذه الجوهرة النفيسة وأصل إلى هذه المرتبة الشريفة ، فإن المؤمن إذا رغب فى الخير رغب ، وإذا خوف من الشر هرب ، ولا خير فيمن إذا زجر لا ينزجر ، وإذا أمر لا يأتمر .

قال الغزالي رحمة الله : " إنما الفضيلة فى أمر هذه النفس أن تقوم عليها بقوة العزم فتمنعها عن كل معصية ، وتصونها عن كل فضول ، فإذا فعلت ذلك كنت قد اتقيت الله تعالى فى عينك وأذنيك ولسانك وقلبك وبطنك وفرجك وجميع أركانك ، وألجمتها بلجام التقوى ، ولهذا الباب شرح يطول ، وأما الذي لا بد منه هاهنا فأن نقول : من أراد أن يتقى الله فليراع الأعضاء الخمسة فإنهن الأصول : وهى العين والأذن واللسان والقلب والبطن ، فيحرص عليها بالصيانة لها عن كل ما يخاف منه ضرراً فى أمر الدين من معصية وحرام وفضول وإسراف من حلال ، وإذا حصل صيانة هذه الأعضاء فمرجو إن يكف سائر أركانه ، ويكون قد قام بالتقوى الجامعة بجميع بدنه لله تعالى " (1).

فإن قلت : كيف لى أن أصون الأعضاء الخمسة عن معصية الله عز وجل ؟ وكيف أقيدها بطاعة الله ، فإن هذا لب السؤال وغاية الآمال والسبب الموصل إلى رحمة الكبير المتعال ؟ قلت : سوف اجمع لك من السطور ما يبين لى ولك الطريق ، والله ولى التوفيق .

(1) منهاج العابدين (67 / 77) باختصار .

□ وألخص ذلك فى خمسة أمور :

- 1- محبة الله عز وجل تغلب على قلب العبد يدع لها كل محبوب ويضحى فى سبيلها بكل مرغوب
- 2- أن تستشعر فى قلبك مراقبة الله عز وجل وتستحي منه حق الحياء
- 3- أن تعلم ما فى سبيل المعاصى والاثام من الشرور والآلام .
- 4- أن تعلم كيف تغالب هواك وتطيع مولاك .
- 5- أن تدرس مكائد الشيطان ومصائده ، وان تحذر من وساوسه ودسائسه.

1- محبة الله عز وجل :

قال ابن القيم رحمة الله : فالمحبة شجرة فى القلب ، عروقتها المذل للمحبوب وساقها معرفته ، وأغصانها خشيتها ، وورقها الحياء منه ، وثمرتها طاعته ، ومادتها التى تسقيها ذكره ،
فمتى خلا الحب عن شئ من ذلك كان ناقصاً .⁽¹⁾

وقال ابن رجب رحمه الله : ومحبة الله سبحانه وتعالى على درجتين : أحدهما : فرض لازم ، وهى أن يحب الله سبحانه وتعالى محبة توجب له محبة ما فرضه الله عليه ، وبغض ما حرمه عليه ، ومحبة لرسوله المبلغ عنه أمره و نهيه ، وتقديم محبته على النفوس والاهلين والرضا بما بلغه عن الله من الدين ، وتلقى ذلك بالرضى والتسليم ، ومحبة الانبياء والرسل والمتبعين لهم باحسان جملة ، وعموماً لله عز وجل ، وبغض الكفار والفجار جملة وعموماً لله عز وجل وهذا القدر لابد منه فى تمام الايمان الواجب ، ومن اخل بشئ منه فقد نقص من ايمانه الواجب بحسب ذلك ، قال الله عز وجل :

[فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا].....
(النساء : 65) وكذلك ينقص من محبته الواجبة بحسب ما أخل به من ذلك ، فإن المحبة الواجبة تقتضى فعل الواجبات وترك المحرمات .

الدرجة الثانية : درجة السابقين المقربين ، وهى أن ترتقى المحبة إلى محبة ما يحبه من نوافل الطاعات ، وكراهة ما يكرهه من دقائق المكروهات ، وإلى الرضا بما يقدره ويقضيه مما يؤلم النفوس من المصائب ، وهذا أفضل مستحب مندوب إليه
وفى صحيح البخاري عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم :

(1) روضة المحبين (904) دار الصفا .

قال : (يقول الله عز وجل : من عادى لى ولياً فقد أذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدي بشئ أحب إليه مما افترضت عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ، ولئن سألتنى لأعطينه ، ولئن استعاذنى لأعيدنه ، وما تردت عن شئ أنا فاعله تردى فى قبض نفس عبدي المؤمن ، يكره الموت وأنا أكره مساءته) .⁽¹⁾

قال ابن القيم رحمه الله :
ولو لم يكن فى المحبة إلا أنها تنجى محبه من عذابه ، لكان ينبغي للعبد أن لا يتعوض عنها بشئ أبداً . وسئل بعض العلماء أين تجد فى القرآن إن الحبيب لا يعذب حبيبه : فى قوله تعالى : [وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ]⁽²⁾
.....(المائدة : 18)

□ الأسباب الجالبة للمحبة :

- 1- قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه .
- 2- التقرب إلى الله عز وجل بالنوافل بعد الفرائض .
- 3- دوام ذكره بالقلب واللسان .
- 4- إثارة محابه على محابك عند غلبات الهوى
- 5 - مطالعة أسمائه وصفاته ، ومشاهدتها ، والتقلب فى رياض معانيها.

(1) استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس (11 - 15) باختصار ، والحديث رواه البخارى (1 / 341) الرقاق ، وأبو نعيم فى الحليه (1 / 4) ، وانظر طرق الحديث فى الصحيحة رقم (1640) .

(2) روضة المحبين (416) .

6- تذكر نعمه وإحسانه وبره على العبد ، فإن القلوب جلبت على محبة من أحسن إليها وبغض من اساء إليها .

7- الخلوة به وقت النزول الإلهي والإذن العام ، عند قوله عز وجل :
هل من سائل .. هل من تائب .. هل من مستغفر .⁽¹⁾

8- مجالسة المحبين الصادقين ، والتقاط أطايب ثمرات كلامهم.

9- مباحة كل سبب يحول بين القلب وبين الله من الشهوات والشبهات .

10- التفكير فى مصنوعاته الدالة على كماله ، فإن القلوب مفطورة على محبة الكمال ، وكان السلف يفضلون التفكير على عبادة البدن .

11- تذكر ما ورد فى الكتاب والسنة من رؤية أهل الجنة لربهم وزيارتهم له واجتماعهم يوم المزيد .

ولا شك فى أن الاشتغال بهذه الاسباب الجالبة للمحبة مما يشغل القلب بطاعة الله ويبعده عن المعاصى، ثم إذا كملت المحبة فإن المحب لا يعصى محبوبه كما قيل :

تعصى الإله وأنت تزعم حبه هذا لعمرى فى
القياس شنيع
لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب
مطيع

وإذا فتح للعبد هذا الباب الشريف ، ودخل هذا القصر المنيف ، فإنه تحبب إليه الطاعات
ويجد فيها منتهى راحته وسعادته ،

(1) حديث النزول رواه البخارى (13 / 464) التوحيد ، ومسلم (6 / 38 ، 39) والترمذى (13 / 30) الدعوات ، وأبو داود (1301) الصلاة .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : (**وجعلت قررة عيني في الصلاة**)⁽¹⁾ ، وكان يصلى حتى ترم ساقاه وتشقق قدماه فيقال له فى ذلك فيقول صلى الله عليه وسلم : (**أفلا أكون عبداً شكوراً**)⁽²⁾

فمحببة الله عز وجل من أعظم أسباب التقوى ،
كما قال القائل :

وكن لربك ذا حب لتخدمه
إن المحبين للأحباب
خدام

فإن المحب يسر بخدمة محبوبه وطاعته ، ولا تطاوعه نفسه على معصيته
كما قال بعض الصالحين : إنى لا أحسن أن أعصى الله . أى أن جوارحه لا
تأتى معه فى المعصية ،
لمحبتها للطاعات ، وبغضها للمعاصى .

كما نصحت إحدى الصالحات من السلف بنيتها فقالت لهم :
" تعودوا حب الله وطاعته فإن المتقين ألفت جوارحهم الطاعة
فاستوحشت من غيرها ،
فإذا أمرهم الملعون بمعصية ، مرت المعصية بهم محتشمه فهم لها منكرون
".

فنسال الله الغنى الكريم أن يمن علينا بمحبته وأن يوفقنا لأسباب فضله
ورحمته.

(1) رواه أحمد (3 / 128) والنسائي (61 / 7) عشرة النساء ، والحاكم (160 / 2) النكاح وصححه على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي وصححه الألباني فى الصحيحة رقم (1809) .

(2) رواه البخارى (14 / 3) التهجد موصولاً عن المغيرة وبمعناه معلقاً عن عائشه ، وابن ماجه (1419)

2- ومما يعين على تقوى الله عز وجل أن يدرّب العبد نفسه على المراقبة وان يستشعر اطلاع الله عز وجل عليه فيستحي عند ذلك من المعصية ويجتهد فى الطاعة :

قال الله تعالى : [وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ] (الحديد : 4)

قال ابن كثير رحمه الله : أى رقيب عليكم شهيد على أعمالكم حيث كنتم وأين كنتم ، من بر أو بحر ، فى ليل أو نهار ، فى البيوت او القفار ، الجميع فى علمه على السواء ، وتحت بصره وسمعه فيسمع كلامكم ، ويرى مكانكم ، ويعلم سركم ونجواكم .⁽¹⁾

وقال تعالى : [أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ] (هود : 5)

قال الشنقيطى رحمة الله :

بين الله تعالى فى هذه الآية الكريمة أنه لا يخفى عليه شىء ، وان السر كالعلانية عنده ، فهو عالم بما تنطوى عليه الضمائر وما يعلن وما يسر والايات المبينة لهذا كثيرة جدا كقوله تعالى :

[وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ] ... (ق : 16)

وقوله جلا وعلا [وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ] (البقره : 235)

وقوله [فَلْتَقَصِّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ] (الأعراف : 7)

وقوله [وَمَا يَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ] (يونس : 61)

ولا تقلب ورقة من المصحف الكريم إلا وجدت فيها أية بهذا المعنى.

(1) تفسير القرآن العظيم (4 / 304) .

ثم قال تحت عنوان : تنبيه هام :

اعلم ان الله تبارك وتعالى ما أنزل من السماء الى الارض واعظاً أكبر ولا زاجراً أعظم مما تضمنته هذه الايات الكريمة وامثالها فى القرآن ، من انه تعالى عالم بكل ما يعمله خلقه ، رقيب عليهم ، ليس بغائب عما يفعلون ، وضرب العلماء لهذا الواعظ الاكبر والزاجر الاعظم مثلاً ليصير به كالمحسوس فقالوا : لو فرضنا ان ملكاً قتالاً للرجال ، سفاكاً للدماء ، شديد البطش والنكال على من انتهك حرمة ظلماً وسيافه قائم على رأسه ، والنطع مبسوط للقتل ، والسيف يقطر دماً ، وحول هذا الملك الذى هذه صفته جواريه وازواجه وبناته ، فهل ترى ان احداً من الحاضرين يهتم برؤية او بحرام يناله من بنات الملك وازواجه ، وهو ينظر اليه ، عالم بأنه مطلع عليه ؟ لا وكلا ، بل جميع الحاضرين يكونون خائفين ، وجلة قلوبهم ، خاشعة عيونهم ، ساكنة جوارحهم ، خوفاً من بطش ذلك الملك.

ولا شك ولله المثل الأعلى أن رب السموات والارض جل وعلا أشد علماً واعظم مراقبةً ، واشد بطشاً واعظم نكالاً وعقوبةً من ذلك الملك ، وحماه فى أرضه محارمه ، فإذا لاحظ الإنسان الضعيف أن ربه جل وعلا ليس بغائب عنه ، وأنه مطلع على ما يقول وما يفعل وما ينوى ، لان قلبه ، وخشى الله تعالى ، وأحسن عمله لله جل وعلا. (1)

وقد دلت الأحاديث الشريفة على ما دلت عليه هذه الايات الكريمة من وجوب مراقبة الله تعالى ، والاستحياء منه حق الحياء.

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال :

(1) أضواء البيان : (3 / 9 - 10)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(استحيوا من الله حق الحياء ، من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى ، وليحفظ البطن وما حوى ، وليذكر الموت والبلا ، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا ، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء)** .⁽¹⁾

قال المناوى فى الفيض : " استحيوا من الله حق الحياء " بترك الشهوات والنهومات ، وتحمل المكاره على النفس حتى تصير مذبوغة ، فعندها تطهر الأخلاق ، وتشرق أنوار الأسماء فى صدر العبد ، ويقرر علمه بالله فيعيش غنياً بالله ما عاش .

قال البيضاوى : ليس حق الحياء من الله ما تحسبونه ، بل أن يحفظ نفسه بجميع جوارحه عما لا يرضاه من فعل وقول .

وقال سيفان بن عيينه : الحياء أخف التقوى ، ولا يخاف العبد حتى يستحي ، وهل دخل أهل التقوى إلا من الحياء (من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس) أى راسه (وما وعى) : ما جمعه من الحواس الظاهرة والباطنة ، وحتى لا يستعملها إلا فيما يحل (وليحفظ البطن وما حوى) أى : وما جمعه الجوف باتصاله به من القلب والفرج واليدين والرجلين ، فإن هذه الأعضاء متصله بالجوف فلا يستعمل منها شئ فى معصية الله ، فإن الله ناظر إلى العبد لا يواريه شئ .⁽²⁾

وعن أسامة بن شريك رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(ما كرهت أن يراه الناس منك فلا تفعله بنفسك إذا خلوت)** .⁽³⁾

(1) رواه الترمذي (281 / 90) القيامة ، والحاكم (323 / 4) الرقاق وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبى ، وحسنه الألبانى .

(2) فيض القدير (1 / 488)

(3) رواه ابن حبان فى روضة العقلاء : (12 - 13) ، والضياء فى المختارة (1 / 449) وقال الألبانى : والأسناد ضعيف قال : ثم وجدت للحديث شاهداً مرسلأفى (جامع بن وهب) ص 65 - فالحديث به حسن إن شاء الله - الصحيحة (1055) .

وعن ثوبان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى اله عليه وسلم (**لأعملن أقواماً من أمتى ياتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاء فيجعلها الله هباء منثورا ، أما إنهم إخوانكم ، ومن جلدتكم ، ويأخذون من الليل كما تأخذون ، ولكنهم قوم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها**) .⁽¹⁾

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(ثلاث مهلكات وثلاث منجيات : فقال : ثلاث مهلكات : شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه . وثلاث منجيات : خشية الله فى السر والعلانية ، والقصد فى الفقر والغنى ، والعدل فى الغضب والرضا)** .⁽²⁾

قال المناوى : قدم السر لأن تقوى الله فيه أعلى درجة من العلن لما يخاف من شوب رؤية الناس ، وهذه درجة المراقبة وخشيته فيهما تمنع من إرتكاب كل منهى ، وتحثه على فعل كل مأمور ، فإن حصل للعبد غفلة عن ملاحظة خوفه وتقواه فارتكب مخالفة مولاه لجأ إلى التوبة ثم داوم الخشية .⁽³⁾

وسئل النبى صلى الله عليه وسلم عن الإحسان فى الحديث المسمى بأم السنه فقال صلى الله عليه وسلم : **(أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)** .⁽⁴⁾

قال النووى رحمه الله : " هذا من جوامع الكلم التى أوتيتها صلى الله عليه وسلم ، لأننا لو قدرنا أن احداً قام فى عبادة وهو يعاين ربه سبحانه وتعالى ، لم يترك شيئاً ما يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن السمات واجتماعه بظاهره وباطنه على

(1) رواه ابن ماجه (4245) الزهد وصححه الألبانى فى الصحيحة (505)
(2) رواه البزار (08) ، والعقلى (ص 352) وأبو بكر الدينورى فى (المجالسه وجواهر العلم) والسياق له ، وأبو نعيم
(3) (2 / 343) وله طرق هو بمجموعها حسن ، باختصار من الصحيحة (1802)
(4) فى القدير (3 / 307)
(4) رواه البخارى (1 / 114) الإيمان ، ومسلم (1 / 157 ، 158) الإيمان ، والترمذى (10 - 87 / 88) الإيمان ، وأبو داود (4670) السنه ، والنسائى (8 / 97) الإيمان .

الاعتناء بتتميمها على أحسن وجوها إلا أتى به فقال صلى الله عليه وسلم : **(اعبد الله فى جميع أحوالك كعبادتك فى حال العيان)** فإن التتميم المذكور فى حال العيان إنما كان لعلم العبد باطلاع الله سبحانه وتعالى عليه ، فلا يقدم العبد على تقصير فى هذا الحال للاطلاع عليه ، وهذا المعنى موجود مع رؤية العبد ، فينبغى أن يعمل بمقتضاه ، فمقصود الكلام الحث على الأخلص فى العبادة ومراقبة العبد ربه تبارك وتعالى فى إتمام الخشوع والخضوع وغير ذلك ، وقد ندب أهل الحقائق إلى مجالسة الصالحين ليكون ذلك مانعاً من تلبسه من النقائص إحتراماً لهم وإستحياءً منهم ، فكيف بمن لا يزال الله مطلعاً عليه فى سره وعلانيته ⁽¹⁾ .

وقال ابن رجب رحمه الله : يشير إلى أن العبد يعبد الله تعالى على هذه الصفة وهو استحضار قربته ، وأنه بين يديه كأنه يراه ، وذلك يوجب الخشية والهيبة والتعظيم ن كما جاء فى رواية أبى هريره : **(أن تخشى الله كأنك تراه)** ويوجب أيضاً النصح فى العبادة وبذل الجهد فى تحسينها وإتمامها وإكمالها ، وقد وصى النبى صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة بهذه الوصية .

وقوله صلى الله عليه وسلم : **(فإن لم تكن تراه فإنه يراك)** قيل : إنه تعليل للأول ، فإن العبد إذا أمر بمراقبة الله تعالى فى العبادة واستحضار قربته من عبده حتى كأن العبد يراه فإنه قد يشق ذلك عليه ، فيستعين على ذلك بإيمانه بأن الله يراه ويطلع على سره وعلانيته وباطنة وظاهره ، ولا يخفى عليه شئ من أمره فإذا تحقق هذا المقام سهل عليه الانتقال إلى المقام الثانى ،

وهو دوام التحقق بالبصيرة إلى قرب الله من عبده ومعيته حتى كأنه يراه ، وقيل :

بل هو إشارة إلى أن من شق عليه أن يعبد الله كأنه يراه فليعبد الله على أن الله يراه ويطلع عليه فليستحى من نظره إليه ، كما قال بعض العارفين : اتق الله أن يكون أهون الناظرين إليك . وقال بعضهم : خف الله على قدر قدرته عليك واستحى من الله على قدر قربته منك ⁽²⁾ .

(1) شرح النووى على صحيح مسلم (1 / 157 - 158) .

(2) جامع العلوم والحكم (33 - 34) باختصار .

وصفوة الكلام أن يقال : مما يعين على التقوى التدرب على مراقبة الله عز وجل وإحساس القلب بقربة وإطلاعه ، فيستحي العبد عند ذلك من المعصية ويبذل جهده فى أداء الطاعة على أحسن وجوها ، وهذه بعض الآثار فى تقرير هذا المعنى :

ذكر عن أعرابى قال : خرجت فى بعض ليالى الظلم فإذا أنا بجارية كأنها علم⁽¹⁾ ، فأردتها عن نفسها فقالت : ويلك أما كان لك زاجر من عقل إذا لم يكن لك ناهٍ من دين ؟ فقلت : إنه والله ما يرانا إلا الكواكب ، فقالت : فأين مكوبها .

وسئل الجنيد بم يستعان على غض البصر ؟ قال : بعلمك أن نظر الله إليك أسبق إلى ما تنظر إليه .

وقال الحارث المحاسبى : المراقبة علم القلب بقرب الرب .

وكان الإمام أحمد ينشد :

خلوت ولكن قل	إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل
	على رقيب
ولا أن ما يخفى	ولا تحسبن الله يغفل ساعة
	عليه يغيب

(1) علم : أي جبل

3- ومما يعين على التقوى معرفة ما فى سبيل الحرام من المفاسد والألام

فليس فى الدنيا والآخرة شر و داء إلا وسببه الذنوب والمعاصى ،
قال ابن القيم رحمه الله : فما الذى أخرج الأيوين من الجنة دار اللذة
والنعيم
والبهجة والسرور إلى دار الالام والأحزان والمصائب .

وما الذى أخرج أبليلس من ملكوت السماء ، وطرده ولعنه ومسح ظاهره
وباطنه فجعلت صورته أقبح صورته وأشنعها ، وباطنه أقبح من صورته وأشنع
وبدل بالقرب بعداً ، وبالرحمة لعنه ، وبالجنة ناراً تلظى ، فهان على الله غاية
الهُوان ، وسقط من عينه غاية السقوط ، فصار
قوداً لكل فاسق ومجرم ، رضى لنفسه بالقيادة بعد تلك العبادة والسيادة ،
فعياداً بك اللهم
من مخالفة أمرك ، وأرتكاب نهيك .

وما الذى أغرق أهل الأرض كلهم حتى علا الماء فوق رؤوس الجبال .

وما الذى سلط الريح العقيم على قوم عاد حتى ألقتهم موتى على سطح
الأرض كأنهم
أعجاز نخل خاوية ، ودمرت ما مرت عليه من ديارهم وحروثهم ، وما الذى
أرسل على
قوم ثمود الصيحة حتى قطعت قلوبهم فى أجوافهم وماتوا عن آخرهم ؟ وما
الذى رفع
قرى اللوطية حتى سمعت الملائكة نبيح كلابهم ثم قلبها عليهم ، فجعل عاليها
سافلها ، ثم أتبعهم حجارة من سجيل ، فجمع عليهم من العقوبة ما لم
يجمعه على أمه غيرهم ، وإخوانهم أمثالها وما هى من الظالمين ببعيد ، وما
الذى أرسل على قوم شعيب سحاب العذاب كالظلل ،
فلما صار فوق رؤوسهم أمطر عليهم ناراً تلظى ؟ وما الذى أغرق فرعون
وقومه فى البحر ، ثم نقلت ارواحهم إلى جهنم ، فالأجساد للغرق ، والأرواح
للحرق ، وما الذى أهلك القرون من بعد نوح ودمرها تدميراً.⁽¹⁾

(1) الجواب الكافى باختصار (42 - 43) دار عمر بن الخطاب .

ثم ذكر رحمه الله آثار الذنوب والمعاصى فلتراجع فإنها مفيدة جداً فى
الزجر عن معصية
الله والمباعدة عنها ، وهى التقوى المقصودة والدرة المفقودة ، نسال الله
السلامه ، ونعوذ
بالله من الحسرة والندامه ، فحقيق بكل عاقل أن لا يسلك طريقاً حتى يعلم
سلامتها وأفاتها ، وما توصل إليه من سلامة أو عطب ،
ولا شك أن سبيل المعاصى فيه من التعرض للعذاب العاجل والأجل وضيق
الصدر والرزق وبغض الخلق ومحق البركة فهى كطعام لذيذ مسموم يتمتع
به لحظات وتبقى آلامه فى
الحياة وبعد الممات كما قال القائل :
تفنى اللذائة من نال لذتها
والعار
تبقى عواقب سوء من مغبتها
بعدها النار
من الحرام ويبقى الإثم
لا خير فى لذة من

4- ومما يعين على التقوى أن تتعلم كيف تغالب هواك وتطيع مولاك

قال الشيخ مصطفى السباعى رحمه الله : " إذا همت نفسك بالمعصية
فذكرها بالله ، فإذا
لم ترجع فذكرها بأخلاق الرجال ، فإذا لم ترجع فذكرها بالفضيحة إذا علم
الناس ، فإذا لم ترجع فاعلم أنك تلك الساعة انقلبت إلى حيوان " .⁽¹⁾
وقال ابن القيم رحمه الله : " وملاك الأمر كله الرغبة فى الله وأرادة
وجهه والتقرب
إليه بأنواع الوسائل والشوق إلى الوصول إليه ، وإلى لقائه ، فإن لم يكن
للعبد همة على
ذلك فالرغبة فى الجنة ونعيمها وما أعد الله فيها لأوليائه ، فإن لم تكن له
همة عالية تطالبه
بذلك ، فخشية النار وما أعد الله فيها لمن عصاه ، فإن لم تطاوعه نفسه
لشئ من ذلك ، فليعلم أنه خلق للجحيم لا للنعيم ، ولا يقدر على ذلك بعد
قدر الله وتوفيقه إلا بمخالفة هواه .

(1) علمتنى الحياه (32) نقلًا عن هامش رسالة المسترشدين للمحاسبي (160) بتحقيق وتعليق عبد
الفتاح أبو غدة .

فلم يجعل الله طريقاً إلى الجنة غير متابعتة ، ولم يجعل للنار طريقاً غير مخالفتة ،

قال الله تعالى :

[فَأَمَّا مَنْ طَغَى (37) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (38) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (39) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى] (النازعات : 37 - 41) وقال تعالى : [وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ] (الرحمن : 46) قيل : هو العبد يهوى المعصية فيذكر مقام ربه عليه فى الدنيا ومقامه بين يديه فى الآخرة فيتركها لله .

وقد أخبر الله عز وجل أن اتباع الهوى يضل عن سبيله فقال الله تعالى : [يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ] ⁽¹⁾ (ص : 26)

وقد حكم الله تعالى لتابع هواه بغير هدى من الله أنه أظلم الظالمين فقال الله عز وجل :

[فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ] (القصص : 50)

وجعل سبحانه وتعالى المتبع قسمين لا ثالث لهما : إما ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وإما الهوى : فمن اتبع أحدهما لم يمكنه إتباع الآخر .⁽²⁾

وقال ابن الجوزى رحمه الله : " الحذر الحذر من المعاصى فإنها سيئة العواقب ، والحذر من الذنوب خصوصاً ذنوب الخلوات ، فإن المبارزة لله تعالى تسقط العبد من عينه سبحانه ، ولا ينال لذة المعاصى إلا دائم الغفلة ، فأما المؤمن اليقظان فإنه لا يلتذ بها ، لأنه عند إلتذاده يقف بإيذائه علمه بتحريمها ، وحذره من عقوبتها ، فإن قويت معرفته رأى بعين علمه قرب الناهى - وهو الله - فيتغصص

(1) روضة المحبين (401 - 402) باختصار .

(2) السابق (404)

عيشه فى حال إلتذاذه ، فإن غلبه سكر القلب متنغصاً بهذه المراقبات ، وإن كان الطبع فى شهوته فما هى إلا لحظة ثم خزى دائم وندم ملازم وبكاء متواصل وأسف على ما كان مع طول الزمان ، حتى لو تيقن العفو وقف بإزائه حذر العتاب .

فأفّ للذنوب ! ما أقبح أثارها ؟ وأسوأ أخبارها ؟ ولا كانت شهوه لا تنال إلا بمقدار قوة الغفله .⁽¹⁾

وقال ابن القيم رحمه الله : " واعلم أن الصبر عن الشهوة أسهل من الصبر على ما توجبه الشهوة ، فإن الشهوة إما أن توجب ألماً وعقوبة ، وغماً أن تقطع لذة أكمل منها ، وإما أن تضيع وقتاً وإضاعته حسرة وندامة ، وإما أن تثلم عرضاً توفيره أنفع للعبد من ثلمه ، وإما أن تذهب مالاً بقاؤه خير من ذهابه ، وإما أن تضع قدراً قيامه خير من وضعه ، وإما أن تسئل نعمة بقاؤها ألد من قضاء الشهوة " .⁽²⁾

وخلاصة هذا الفصل أن الناس فى ترك المعاصى والتورع عنها دوافع متعددة :

- منهم من يدفعه عن معصية محبة الله عز وجل وإجلاله أن يخالف أمره ويرتكب نهيه كما قال بعضهم : وددت أن جلدى قرص بالمقارض ، وأن هؤلاء الخلق أطاعوا الله عز وجل ، وهذه أعلى مراتب الخشية وأعلى دوافع التقوى.

- ومن الناس من يدفعه عن المعصية الرغبة فى دار القرار وما فيها من نعيم مقيم للأبرار ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : **(من شرب الخمر فى الدنيا لم يشربها فى الآخرة إلا أن يتوب)** .⁽³⁾

(1) صيد الخاطر (129) بتصرف .

(2) الفوائد (182 - 183) دار الدعوة .

(3) رواه البخارى (10 / 30) ، و مسلم (13 / 173) الأشربه بهذا اللفظ ، ومالك فى الموطأ (2 / 846) الأشربه ،

وأبو داود (3662) الأشربه ، والترمذى (8 / 48) الأشربه والنسائى (8 / 318) الأشربه .

فالتمتع بالحرام فى دار الفناء سبب للحرمان من النعيم المقيم فى دار
البقاء ، فلن يجعل الله من أذهب طبياته فى حياته الدنيا واستمتع بها كمن
صام عنها ليوم فطره من الدنيا إذا لقي الله عز وجل . قال بعضهم :
أنت فى دار شتات فتأهب لشتاتك
واجعل الدنيا كيوم صمته عن شهواتك
واجعل الفطر عند الله فى يوم وفاتك

قال الخطابى : معناه لم يدخل الجنة ، لأن الخمر شراب أهل الجنة
(جامع الاصول 5/99)

وقال النووى : معناه أنه يحرم شربها فى الجنة وإن دخلها من فاخر شراب
الجنة فيمنعها هذا العاصى بشربها فى الدنيا ، وقيل إنه ينسى شهوتها لان
الجنة فيها كل ما يشتهى ، وقيل
لا يشتهيها وإن ذكرها ويكون هذا نقص نعيم فى حقه تمييزاً بينه وبين تارك
شربها -
النووى على صحيح مسلم (173 / 13) .

• ومنهم من يتركها خوفاً من النار وإتقاء غضب الجبار . قال بعضهم :

إذا ما هممنا صدنا وازع التقى فولى على أعقابہ
الهم خاسناً

وقال آخر :

لا خير فيمن لا يراقب ربه عند الهوى ويخافه
إيماناً
حجب التقى سيل الهوى فأخو التقى يخشى إذا
وافى المعاد هواناً

• ومنهم من يتركها خوف العار والشنار⁽¹⁾ واستبقاء الحياء والوقار كما
قال بعضهم :

(1) الشنار : هو أقبح العيب .

ما إن دعانى الهوى لفاحشة
والكرم
فلا إلى فاحش مددت يدي
قدم
إلا نهانى الحياء
ولا مشت بي لريبة

• ومنهم من يترك المعصية لما يعقبها من شرور ومصائب وألام كما قال بعضهم :

وكم من معاص نال منهن لذة
الدواهيا
تصرم لذات المعاصى وتنقضى
المعاصى كما هيا
فيا سوءتا والله راء وسامع
يخشى المعاصى
ومات فخلاها وذاق
وتبقى تباعات
لعبد بعين الله

• ومنهم من يحمله على ترك المعاصى لذة العفة والاستعلاء عن أتباع الهوى فإن لذلك حلاوة فى القلوب لا يعرفها إلا من ذاقها .

كما قال بعضهم :

وإنى لمشتاق إلى كل غاية
المتطاول
بذول لمالى حين يبخل ذو النهى
قرم حلاحل⁽¹⁾
من المجد يكبو دونها
عفيف عن الفحشاء

• ومنهم من يتركها لأنها تنافى المروءة والشهامة كما قال عنتره وهو
بين شعراء العصر الجاهلى لم يسمع قول الله عز وجل : [قُلْ
لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ] (النور : 30)
وأغض طرفى إن بدت لى جارتى
جارتى ماواها
حتى يوارى

(1) القرم : السيد المعظم والحلاحل : السيد فى عشيرته .

- ومنهم من يتركها إستحياء من الناس ولا يخشى الله عز وجل وهذه أدنى المراتب : كما قال بعضهم :
لم يكن شأنى العفاف ولكن كنت خلا لزوجها فاستحييت

5- ومما يعين على تقوى الله عز وجل معرفة مكائد الشيطان ومصائده ، والحذر من وساوسه ودسائسه :

قال العلامة ابن مفلح المقدسى رحمه الله : اعلم أن الشيطان يقف للمؤمنين فى سبع عقبات ، عقبة الكفر ، فإن سلم منه ففى عقبة البدعة ، ثم فى عقبة فعل الكبائر ، ثم فى عقبة فعل الصغائر ، فإن سلم منه ففى عقبة فعل المبيحات فيشغله بها عن الطاعات ، فإن غلبه شغله بالأعمال المفضولة عن الأعمال الفاضلة ، فإن سلم من ذلك وقف له فى العقبة السابعة ، ولا يسلم منها المؤمن إذ لو سلم منها أحد لسلم منه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى تسليط الأعداء الفجرة بأنواع الأذى .⁽¹⁾

فلا شك فى أن معرفة العقبات التى يقف عندها الشيطان ، ومعرفة مداخله إلى قلب ابن آدم مما يعين على الحذر منه ، وأولى من ذلك بالذكر أن تعرف أن الشيطان عدو لبني آدم فلا يمكن أن يأمره بخير أو ينهاه عن شر .

قال الله تعالى : [إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ]
..... (فاطر : 6)

وقال تعالى : [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ]
..... (النور : 21)

قال أبو افرج بن الجوزى : " إنما يدخل إبليس على الناس بقدر ما يمكنه ، ويزيد تمكنه منهم ويقل على مقدار يقظتهم ، وغفلتهم وجهلهم ، وعلمهم ، واعلم أن القلب كالحصن ، وعلى ذلك الحصن سور ، وللسور أبواب ، وفيه ثلم⁽²⁾ ، وساكنه العقل ، والملائكة تتردد على الحصن ، وإلى جانبه ربض⁽³⁾ فيه

(1) مصائب الأنسان من مكائد الشيطان (69) باختصار ، وذكر ابن القيم رحمه الله هذه العقبات السبع فى تفسير المعوذتين بأطول من ذلك ، فليراجعه من أراد زيادة التفصيل (73 - 76) .

(2) جمع ثلمه : وهى موضع الكسر من القدح .

(3) المكان الذى يؤوى إليه .

الهوى ، والشياطين تختلف إلى ذلك الربض من غير مانع ، والحارس قائم بين أهل الحصن وأهل الربض ، والشياطين لا تزال تدور حول الحصن تطلب غفلة الحارس والعبور من بعض الثلم ، فينبغى للحارس أن يعرف جميع أبواب الحصن الذى قد وكل بحفظه وجميع الثلم ، وأن لا يفتر عن الحراسة لحظة فإن العدو ما يفتر " .

قال رجل للحسن البصرى : أينام إبليس ؟ قال : لو نام لوجدنا راحة ، وهذا الحصن مستتير بالذکر مشرق بالإيمان ، وفيه مرآة صقيلة يتراءى بها صور كل ما يمر به ، فأول ما يفعل الشيطان فى الربض إكثار الدخان فتسود حيطان الحصن وتصدأ المرأة ، وكما الفكريرد الدخان ، وصقل الذکر يجلو المرأة ، وللعُدو حملات فتارة يحمل فيدخل الحصن فيكر عليه الحارس فيخرج ، وربما دخل فعاث⁽¹⁾ ، وربما أقام لغفلة الحارس ، وربما ركدت الريح الطاردة للدخان فتسود حيطان الحصن وتصدأ المرأة فيمر الشيطان ولا يدرى به ، وربما جرح الحارس لغفلته وأسر واستخدم⁽²⁾ .

واعلم أن أول ما يغوي به الشيطان ابن آدم الوسوس التى يوسوس بها إليه ، كما قال تعالى أمراً بالاستعادة بالله عز وجل من وساوسه:

[قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (1) مَلِكِ النَّاسِ (2) إِلَهِ النَّاسِ (3) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (4) الَّذِي يُّوسُّوسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (5) مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ] (الناس)

فإذا غفل القلب عن ذكر الله عز وجل جثم عليه الشيطان واخذ يوسوس إليه بالذنوب والمعاصى ، فإذا ذكر الله عز وجل واستعاذ به انخس الشيطان وانقبض ، وإذا كره ما وسوس به فإن ذلك محض الإيمان ، عن أبى هريره قال : جاء ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه : إنا نجد فى أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به قال : (وقد وجدتموه ؟) قالوا : نعم . قال : (ذلك صريح الإيمان) .⁽³⁾

(1) عاث : أى أفسد

(2) تلبس إبليس (37 - 38) باختصار - مكتبة المتنبى .

(3) رواه مسلم (1 / 153) الإيمان ، قال النووى رحمه الله : معناه أستعظامكم الكلام به وهو صريح الإيمان فإن أستعظام هذا وشدة الخوف منه ومن النطق به فضلاً عن اعتقاده إنما يكون لمن أستكمل الإيمان إستكمالاً محققاً وانتفت عنه الريبه والشكوك - النووى على صحيح مسلم (1 / 154) .

قال ابن القيم رحمه الله :
 " الوسوسة هي مبادئ الإرادة فإن القلب يكون فارغاً من الشر والمعصية
 فيوسوس إليه ويخطر الذنب بباله فيصوره لنفسه ويمنيه ويشهيه فيصير
 شهوه ، وبزيتها له ويحسنها ويخيلها له
 في خيال تميل نفسه إليه فتصير إرادة ، ثم لا يزال يمثل ويخيل ويمنى
 ويشهى وينسى
 علمه بضررها ويطوى عنه سوء عاقبتها فيحول بينه وبين مطالعته ، فلا يرى
 إلا صورة
 المعصية وألتذاه بها فقط ، وينسى ما وراء ذلك فتصير الأرادة عزيمة
 جازمه ، فيشتد الحرص عليها من القلب ، فيبعث الجنود في الطلب فيبعث
 الشيطان معهم مدداً لهم وعوناً ، فإن فتروا حركهم ، وإن ونوا أزعجهم كما
 قال تعالى :
 [أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا
 (مریم : 83)]

أي تزعجهم إلى المعاصي ازعاجاً كلما فتروا أو ونوا أزعجتهم الشياطين
 وأزتهم وأثارتهم ، فلا تزال بالعبد تقوده إلى الذنب ، وتنظم شكل الاجتماع
 بالطف حيله وأتم مكيدته .

فأصل كل معصية وبلاء إنما هي الوسوسة . (1)

فمهما كان العبد مشغولاً بالطاعات وذكر الله عز وجل ، فإنه لا يكون عند
 ذلك محلاً للوساوس فإذا غفل عن الذكر والطاعة وسوس إليه الشيطان
 بالمعاصي كما قال ابن القيم رحمه الله :
 إذا غفل القلب ساعة عن ذكر الله جثم عليه الشيطان وأخذ يعده ويمنيه .

وأختم هذا الفصل بما يستعان به من طاعة الرحمن الرحيم حتى يحفظ العبد
 نفسه من وساوس الشياطين :

1- الاستعاذة بالله قال الله تعالى : [وَإِذَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ تَزَعُّ
 فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ] (الأعراف : 201)

(1) تفسير المعوذتين لابن القيم (71) باختصار وتصرف - السلفيه .

وعن سليمان بن صرد قال : كنت جالساً مع النبي صلى الله عليه وسلم
ورجلان
يستبان فاحدهما احمر وجهه وانتفخت أوداجه ، فقال النبي صلى الله عليه
وسلم :
**(إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد لو قال : أعوذ بالله
من الشيطان الرجيم
ذهب عنه ما يجد)** ... الحديث (1) .

2- قراءة المعوذات فقد قال صلى الله عليه وسلم : **" لم يتعوذ الناس
بمثلهن "** (2) .

3- قراءة آية الكرسي عند النوم كما فى حديث أبى هريره فمن قرأها عند
نومه لا يزال عليه من الله حافظ لا يقربه شيطان .

4- قراءة سورة البقرة قال النبي صلى الله عليه وسلم
(إن البيت الذى فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان) . (3)

5- خاتمة سورة البقرة عن أبى مسعود الانصارى قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم :
(من قرأ الأيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه) . (4)

6- " لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ
قدير " مائة مرة من قرأها فى يوم كانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك
حتى يمسى .

(1) رواه البخارى (518 / 100 - 519) الأدب ، ومسلم (163 / 16) البر والصله ، وابو داود (4759) الأدب ، قال ابن كثير رحمه الله : من لطائف الأستعاذه أنها طهارة الفم مما كان يتعاطاه من اللغو والرفث وتطيب اللهو وهو بتلاوة القرآن وهى استعانه بالله عز وجل واعتراف له بالقدره وللعبد بالضعف والعجز عن مقاومة هذا العدو المبين الباطن الذى لا يقدر على منعه ودفعه إلا الله الذى خلقه ولا يقبل ممناعه ولا يدارى باحسان بخلاف العدو من نوع الإنسان كما دلت على ذلك آيات من القرآن (50 / 1) التفسير .

(2) رواه النسائى (251 / 8) الأستعاذه : وأحمد بمعناه (417 / 3) وصححه الألبانى .

(3) رواه مسلم (68 / 6) صلاة المسافرين بلفظ : أن الشيطان يفر من البيت الذى تقرأ فيه سورة البقره ، والترمذى

(10 / 11) ثواب القرآن بلفظه .

(4) رواه البخارى (50 / 9) فضائل القرآن ، ومسلم (91 / 6 - 92) صلاة المسافرين والترمذى (12 / 10) ثواب القرآن ، وابو داود (1384) الصلاة .

7- كثرة ذكر الله عز وجل فما أحرز العبد نفسه من الشيطان بمثل ذكر الله عز وجل .

8- الوضوء والصلاة قال ابن القيم : وهذا أمر تجربته تغنى عن إقامة الدليل عليه .

9- إمساك فضول النظر والكلام والطعام ومخالطة الناس ، فإن الشيطان إنما يتسلط على ابن آدم وينال منه غرضه من هذه الأربعة .⁽¹⁾

⁽¹⁾ تفسير المعوذتين باختصار (82 – 86) وانظر البحر الرائق للمصنف .

صفات المتقين

وبعد أن ذكرنا معنى التقوى وشرفها وطريق الوصول إليها نرى من المفيد كذلك أن نتعرف على أصحاب هذه الرتب العلية ، والدرجات السنية ، حتى لا تدعيها النفوس وهى عارية منها ، وقد يكون العلم بها مما يشجذ الهمم فى طلبها ، وبذل نفائس الأنفاس فى خطبتها وقرانها .

يقول ابن القيم رحمه الله :

واما السابقون المقربون فنستغفر الله الذى لا إله إلا هو أولاً من وصف حالهم وعدم

الاتصاف به ، بل ما شممنا له رائحة ، ولكن محبة القوم تحمل على تعرف منزلتهم والعلم بها ، وإن كانت النفوس متخلفة منقطعة عن اللحاق بهم ، ففى معرفة حال القوم فوائد عديده :

منها أن لا يزال المتخلف المسكين مزرياً على نفسه ذاماً لها ، ومنها أن لا يزال منكسر القلب بين يدي ربه تعالى ذليلاً حقيراً يشهد منازل السابقين وهو فى زمرة المنقطعين ،

ويشهد بضائع التجار وهو فى رفقة المحرومين ، ومنها أنه عساه أن تنهض همته يوماً إلى التثبيت والتعلق بساقة القوم ولو من بعيد ، ومنها أنه لعله أن يصدق فى الرغبة واللجوء إلى من بيده الخير كله أن يلحقه بالقوم ويهيئه لأعمالهم فيصادف ساعة إجابة لا يسأل الله فيها شيئاً إلا أعطاه ، ومنها أن هذا العلم هو من أشرف علوم العباد ،

وليس بعد علم التوحيد أشرف منه ، وهو لا يناسب إلا النفوس الشريفة ، ولا يناسب النفوس الدنيئة ، فإذا رأى نفسه تناسب هذا العلم وتشتاق إليه وتحبه وتأنس بأقلة فليبشر بالخير فقد أهل له ، فليقل لنفسه : يا نفس فقد حصل لك شطر فاحرصى على الشطر الاخر ، ومنها أن العلم بكل حال خيراً من الجهل

ومنها أنه إذا كان العلم بهذا الشأن همه ومطلوبه فلا بد ان ينال منه بحسب استعداده ولو لحظه ولو بارقة ، ولو أنه يحدث نفسه بالنهضة إليه ، ومنها أنه لعله يجرى منه على لسانه ما ينتفع به غيره بقصده أو بغير قصده

والله لا يضيع مثقال ذرة فعسى أن يرحم بذلك العالم ، وإياك أن تظن أن بمجرد علم هذا الشأن صرت من أهله ، هيهات ما أظهر الفرق بين العلم بوجوه الغنى وهو فقير وبين الغنى بالفعل ، وبين العالم بأسباب الصحة وحدودها وهو سقيم وبين الصحيح بالفعل ، فاسمع الآن وصف القوم وأحضر ذهنك لشأنهم العجيب وخطرهم الجليل ، فإن وجدت من نفسك حركة وهمة إلى التشبه بهم فاحمد الله وادخل فالطريق واضح والباب مفتوح:

إذا أعجبتك خصال امرئ فكنه تكن مثل ما يعجبك
فليس على الجود والمكرمات إذا جئتها حاجب
يحجبك

1- فمن صفات المتقين أنهم يؤمنون بالغيب إيماناً جازماً:

والغيب هو ما غاب عن حواسنا ما أخبرنا الله عز وجل بوجوده أو أخبرنا به رسوله صلى الله عليه وسلم ، كالإيمان بالله وملائكته والإيمان بالآخرة ، ولا شك أن هذه الصفة أخص صفاتهم ، فإنها التي تدعوهم إلى إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والانقياد الكامل لأمر الله عز وجل ونهيه ، وهذه الصفة هي أول صفة وصفهم الله عز وجل بها في كتابه.

قال الله تعالى : [ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (2)
الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ
(3) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ
وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ] (البقرة : 2 - 4)

ومدحهم الله عز وجل كذلك في هذه الآيات الكريمة بأنهم أهل الهداية الحقيقية بالقرآن .

قال القاسمى : قال الناصر فى الانتصاف : الهدى يطلق فى القرآن على معنيين :

أحدهما : الارشاد وإيضاح سبيل الحق ومنه قوله تعالى :
[وَأَمَّا تَمْوُدُ فَهَدَيْتَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى]
 (فصلت : 17)

وعلى هذا يكون الهدى للضال باعتبار أنه رشد إلى الحق سواء حصل له الاهتداء أو لا .

والآخر : خلق الله تعالى الإهتداء فى قلب العبد ومنه :
[أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ] (الانعام : 90)
 فإذا ثبت وروده على المعنيين فهو فى هذه الآية يحتمل أن يراد به المعنيين جميعاً .

وعلى الأول فتخصيص الهدى بالمتقين للتنويه بمدحهم حتى يتبين أنهم هم الذين اهتدوا وانتفعوا به كما قال تعالى : **[إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مِّنْ يَّحْشَاهَا]** (النازعات : 45)

وقال **[إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْعَلِيمَ]**
 (يس : 11)

وقد كان صلى الله عليه وسلم منذراً لكل الناس فذكر هؤلاء لأجل أنهم هم الذين انتفعوا بإنذاره ، وهذه الآية نظير آية : **[قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَبَشِيرًا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ]** ⁽¹⁾ (فصلت : 44)

2- ومن صفاتهم أنهم يعفون ويصفحون :

كما قال تعالى : **[وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى]** (البقرة : 237)
 وقد قال عز وجل :
[وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ]
 (الشورى : 40)

(1) محاسن التأويل (2 / 34) دار الفكر بيروت .

فأخبر الله عز وجل أن من اتصف بهذه الصفة فأجره فى ذلك على الله عز وجل كما رغبتهم الله عز وجل فى مغفرته إذا فعلوا ذلك فقال عز وجل فى سورة النور] وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا [**أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ]** (النور : 22)
وقال تعالى فى وصف المتقين] **وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**]
.... (آل عمران : 134)

قال العلامة محمد رشيد رضا :

قال الراغب : الغيظ أشد الغضب ، وهو الحرارة التى يجدها الإنسان من فوران دم قلبه ،
وفى روح المعانى : أن الغيظ هيجان الطبع عند رؤية ما ينكر ، والفرق بينه وبين
الغضب على ما قيل : أن الغضب يتبعه إرادة الانتقام البتة ، ولا كذلك الغيظ .

وقال الزمخشري : كظم الغيظ هو ان يمسك ما فى نفسه منه بالصبر ولا يظهر له أثراً ،
ويروى عن عائشة أن خادماً لها غاظها فقالت : لله در التقوى ما تركت لذى غيظ يثفاء .

[**وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ**] العفو عن الناس هو التجافى عن ذنب المذنب منهم وترك مؤاخذته مع القدرة عليها ، وتلك مرتبة فى ضبط النفس والحكم عليها وكرم المعاملة قل من يتبواها ،
فالعفو مرتبة قبل مرتبة كظم الغيظ ، إذ ربما يكظم المرء غيظه على حقد وضعينة ،

وهناك مرتبة أعلى منها وهى ما أفاده قوله عز وجل :] **وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**]

فالإحسان وصف من اوصاف المتقين ، ولم يعطفه على ما سبقه من الصفات بل صاغه
بهذه الصيغة تمييزاً له بكونه محبوباً عند الله تعالى ويروى أن بعض السلف غاظه غلام له فجأة غيظاً شديداً فهم بالانتقام منه فقال الغلام]
وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ] فقال : كظمت غيظى ،

قال الغلام : [وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ -] فقال : عفوت عنك . قال [
وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ]
قال : اذهب فأنت حر وجه الله . فهذه الواقعة تبين لك ترتيب المراتب
الثلاثة .⁽¹⁾

(1) تفسير المنار باختصار (4 / 134 ، 135) .

3- ومن صفاتهم أنهم غير معصومين من الخطايا إلا من عصمه الله عز وجل من الانبياء غير أنهم لا يقارفون الكبائر ، ولا يصرون على الصغائر :

بل كلما وقعوا فى صغيرة رجعوا إلى الله بالتوبة والاستغفار والعمل الصالح عملاً بقول النبى صلى الله عليه وسلم : (**اتبع السيئة الحسنة تمحها**)⁽¹⁾ . (

ودل على هذه الصفة قوله عز وجل : [**إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ**] (الأعراف : 201)

قال ابن كثير رحمه الله : يخبر تعالى عن المتقين من عبادة الذين أطاعوه فيما أمر وتركوا ما عنه زجر ، أنهم إذا مسهم - أى : أصابهم - طيف وقرأ الآخرون طائف ، وقد جاء فيه حديث وهما قراءتان مشهورتان ف قيل : بمعنى واحد ، وقيل : بينهما فرق ، ومنهم من فسر ذلك بالغضب ، ومنهم من فسره بمس الشيطان بالصدع ونحوه ، ومنهم من فسره بالهم بالذنب ، ومنهم من فسره بإصابة الذنب ، وقوله : [**تَذَكَّرُوا**] أى : عقاب الله وجزيل ثوابه ووعدده ووعيده فتابوا واناابوا ورجعوا إليه من قريب : [**فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ**] أى : قد استقاموا وصحوا مما كانوا فيه .⁽²⁾ ثم ذكر الله عز وجل ما يقابل هذه الصفة فى المتقين بقوله تعالى : [**وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْعَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ**] (الإعراف : 202)

قال العلامة رشيد رضا رحمه الله : شأن المؤمنين المتقين إذا مسهم طائف من الشيطان لحملهم على محاكاة الجاهلين والخوض معهم وعلى غير ذلك من المعاصى والفساد تذكروا فأبصروا فحذروا وسلموا ، وإن زلوا تابوا واناابوا ، وأن إخوان الشياطين وهم الجاهلون غير المتقين تتمكن الشياطين من إهوائهم فيمدونهم فى غيهم وفسادهم ،

(1) تقدم تخريجه

(2) تفسير القرآن العظيم (2 / 279) .

لأنهم لا يذكرون الله تعالى إذا شعروا فى أنفسهم بالنزوع إلى الشر والباطل والفساد فى الأرض ، ولا يستعيذون منه بالله ، وإما لأنهم لا يؤمنون بأن للإنسان شيطاناً من الجن يوسوس إليه ويغريه بالشر – ثم لا يقصرون ولا يكفون عن إغوائهم وإفسادهم لذلك يصرون على الشرور والفساد لفقد الوازع النفسى والواعظ الدينى . (1)

4- ومن صفاتهم أنهم يتحرون الصدق فهم أصدق الناس إيماناً وأصدقهم أقوالاً وأعمالاً وهم الذين صدقوا المرسلين

قال تعالى : [وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ] (الزمر : 33)

قيل : الذى جاء بالصدق هو محمد صلى الله عليه وسلم ، وقيل : جبريل عليه السلام ، وقال مجاهد : أصحاب القرآن المؤمنون : يجيئون يوم القيامة فيقولون : هذا ما اعطيتمونا بما أمرتمونا.

قال ابن كثير : وهذا القول عن مجاهد يشمل كل المؤمنين ، فإن المؤمنين يقولون الحق ويعملون به ، والرسول صلى الله عليه وسلم أولى الناس بالدخول فى هذه الآية على هذا التفسير ، فإنه جاء بالصدق وصدق المرسلين ، وأمن بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل أمن بالله وملائكته وكتبه ورسله. (2)

وقال تعالى : [أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ] (البقرة : 77)

قال القاسمى : [أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا] فى إيمانهم لأنهم حققوا الإيمان القلبي بالأقوال والأفعال ، فلم تغيرهم الأحوال ولم تزلزلهم الأهوال ،

(1) تفسير المنار (550 / 9) بتصرف .

(2) تفسير القرآن العظيم (53 / 4) .

وفيه إشعار بأن من لم يفعل أفعالهم لم يصدق في دعواه الإيمان [وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ]
 عن الكفر وسائر الرذائل ، وتكرير الإشارة لزيادة تنويه بشأنهم ، وتوسيط
 الضمير للإشارة لانحصار التقوى فيهم⁽¹⁾
 وقد رغب النبي صلى اله عليه وسلم فى هذه الخصلة النبيلة والرتبة الجليلة
 فقال صلى الله عليه وسلم (وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق
 حتى يكتب عند الله صديقاً) .⁽²⁾

5- ومن صفاتهم أنهم يعظمون شعائر الله

قال الله تعالى : [ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمُ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى
 الْقُلُوبِ] (الحج :32)

قال القرطبي رحمه الله عليه :
 قوله تعالى [ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمُ شَعَائِرَ] الشعائر جمع شعيره
 وهى كل شئ لله تعالى فيه أمر أشعر به واعلم ، ومنه القوم فى الحرب ،
 أى علامتهم التى يتعارفون بها تسمى شعيره بمعنى المشعورة ، فشعائر
 الإسلام أعلام دينه ، ولاسيما ما يتعلق بالمناسك ،
 وقال قوم : المراد هنا تسمية البدن والاهتمام بأمرها ، والمغالاة بها قاله ابن
 عباس ومجاهد وجماعة ، وفيه إشارة لطيفة ، وذلك أن أصل شراء البدن
 ربما حصول الأجزاء بما دونها فلا يظهر له عمل إلا تعظيم الشرع وهو من
 تقوى القلوب والله أعلم .

(1) تفسير القاسمى (3 / 54)

(2) رواه البخارى (10 / 507) الأدب ، ومسلم (16 / 160) البر و الصله ، وابو داود (4968) الأدب ،
 وابن ماجه

(46) المقدمة بزيادة فى اوله ، واللفظ لمسلم .

واضاف التقوى الى القلوب لان حقيقة التقوى فى القلب ولهذا قال (ص) فى الحديث الصحيح :
(التقوى ها هنا و اشار الى صدره) (1)

فالمتقون يعظمون طاعة الله وأمره فيدفعهم ذلك الى طاعته ، ويعظمون كذلك ما نهى الله عنه فيدفعهم ذلك عن معصيته ، وعكس ذلك الاستهانة بالوامر فلا يؤديها ، وبالنواهى فيقع فيها نسال الله السلامة .

قال انس رضى الله عنه :
 " انكم لتعلمون اعمالا هى ادق فى اعينكم من الشعر ، كنا لنعدها على عهد رسول الله من الموبقات " .⁽²⁾

قال ابو عبدالله : يعنى بذلك المهلكات ، وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال: **(ان المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه ، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على انفة فقال به هكذا)** .⁽³⁾

قال العيني : السبب فى ان قلب المؤمن منور فاذا راي من نفسه ما يخالف ذلك عظم الامر عليه ، والحكمة فى التمثيل بالجدل ان غيره من المهلكات قد يحصل منه النجاة بخلاف الجدل اذا سقط عليه فانه لا ينجو عادة .⁽⁴⁾

6- ومن صفاتهم انهم يتحرون العدل ويحكمون به ولا يحملهم بغض احد على تركة :

قال الله تعالى: [وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَالِيٍّ وَلَا تَعْدِلُوا اَعْدِلُوا هُوَ اَقْرَبُ لِلتَّقْوٰى وَاتَّقُوا اللّٰهَ اِنَّ اللّٰهَ خَبِيْرٌۢ بِمَا تَعْمَلُوْنَ] (المائدة : 8)
 قال الزمخشري :

(1) الجامع لأحكام القرآن (5 / 4448) باختصار ، والحديث رواه مسلم (16 / 120 - 121) البر والصله ، والترمذى

(8 / 15) البر ، وأحمد (27702) .

(2) رواه البخارى (11 / 329) الرقاق .

(3) رواه البخارى (11 / 102) الدعوات ، الترمذى (9 / 308) صفة القيامة .

(4) نقلًا عن هامش جامع الأصول (11 / 508) .

لا يحملنكم بغض المشركين على أن تتركوا العدل فتعتدوا عليهم بأن تنتصروا منهم وتنتشفوا بما فى قلوبكم من الضغائن بارتكاب ما لا يحل لكم من مثله أو قذف من مثله أو قذف أو قتل أولاد أو ساء أو نقض عهد أو ما أشبه ذلك] **اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**] نهاهم أولاً أن تحملهم البغضاء على ترك العدل ، ثم استأنف فصرح لهم بالأمر بالعدل تأكيداً وتشديداً ، ثم استأنف فذكر لهم وجه الأمر بالعدل وهو قوله] **هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**] لكونه لطفاً فيها . وفيه تنبيه عظيم علوجب العدل مع الكفار الذين هم أعداء الله إذا كان بهذه الصفة من القوة ، فما الظن بوجوب مع المؤمنين الذين هم أولياؤه واحباؤه (1)

وقد ثبت فى الصحيحين عن النعمان بن بشير أنه قال (نحلنى أبى نحلأ فقالت أمى : لا أرضى حتى عن النعمان بن بشير انه قال : (نحلنى أبى نحلأ فقالت أمى : لا أرضى حتى تشهد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه ليشهده على صدقتى فقال :

(أكل ولدك نحلث مثله ؟) قال : لا . فقال : **(اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم)** . قال : فرجع أبى فرد تلك الصدقة . (2)

7- ومن صفاتهم أنهم يتبعون سبيل الصادقين من الأنبياء والمرسلين وصحابة سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم .

قال الله تعالى :] **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**] (التوبة : 119)

وقد فسر بعض العلماء هذه الآية على أنها تحريض على الصدق وأمر به كابن كثير والقاسمى ، ورجح بعضهم أها حض على التزام طريق الصادقين كالشوكانى ، ونقل عن سعيد بن جبير والضحاك] **كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**] أبو بكر وعمر ، وذكر القرطبى وابن جرير القولين ورجح ابن جرير الثانى منها فقال :

(1) تفسير الكشاف (1 / 612 / 613) باختصار .

(2) رواه البخارى (5 / 211) الهبه (5 / 258) الشهادات ، ومسلم (11 / 67) الهبه .

والصحيح من التأويل فى ذلك هو التأويل الذى ذكرناه عن نافع ⁽¹⁾ والضحاك ، وذلك أن رسوم المصحف كلها مجمعه على [وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ] وعى القراءة التى لا أستجيز لأحد القراءة بخلافها ، وتأويل عبد الله رحمة الله عليه ⁽²⁾ فى ذلك على قراءته تأويل صحيح غير أن القراءة بخلافها . ⁽³⁾

وقال القرطبى : هذا الأمر بالكون مع أهل الصدق حسن بعد قصة الثلاثة حين نفعهم الصدق وذهب بهم عن منازل المنافقين واختلف فى المراد هنا بالمؤمنين الصادقين على اقوال فويل هو خطاب لمن أمن من أهل الكتاب ، قيل [وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ] أى مع الذين خرجوا مع النبى صلى الله عليه وسلم لا مع المنافقين ، أى كونوا على مذاهب الصادقين وسبيلهم . وقيل هم المهاجرون لقول أبى بكر يوم السقيفة : إن الله سمانا الصادقين فقال [لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ] (الحشر : 8)

ثم سماكم بالمفلحين فقال : [وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ] (الحشر : 9) وقيل : هم الذين استوت ظواهرهم وبواطنهم .

قال ابن العربى : وهذا القول هو الحقيقة والغاية التى إليها المنتهى ، فإن هذه الصفة يرتفع بها النفاق فى العقيدة والمخالفة فى العمل ، وصاحبها يقال له الصديق كابى بكر وعمر وعثمان ومن دونهم على منازلهم وأزمانهم ، وأما تفسير أبى بكر الصديق فهو الذى يعم الأقوال كلها فغن جميع الصفات فيهم موجودة . ⁽⁴⁾

(1) الأثر عن نافع قال : قيل للثلاثة الذين خلفوا : يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين محمد وأصحابه .

(2) قال ابن جرير : وكان ابن مسعود فيما ذكر عنه يقرأه { وكونوا من الصادقين } ويتأوله إن ذلك نهى من الله عن الكذب .

(3) جامع البيان فى تفسير القرآن (11 / 46) دار المعرفة بيروت .

(4) الجامع لأحكام القرآن (4 / 3128) باختصار .

فلا شك أن من صفات المتقين أنهم ينتهجون منهج الصحابة رضى الله عنهم ، لأنهم أولى الناس بهذه الصفة التى أمرنا الله أن نكون مع أهلها ، فقد شهد الله عز وجل لهم بالصدق ، وشهد لهم رسوله صلى الله عليه وسلم ، فلا يجوز لأحد أن يلزمهم بشئ ، أو يتهمهم بما برأهم الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم ، فالصحابه كلهم عدول ، وظهرت فيهم من علامات الصدق والإيمان واليقين ما يجعل العاقل يقطع بتعدلهم ، فمن تقوى الله عز وجل موالاتهم ومحبتهم ونصرتهم والاحتجاج بغماعتهم ، وفهم تقوى الله عز وجل موالاتهم ومحبتهم ونصرتهم والاحتجاج بغماعتهم ، وفهم الكتاب والسنة على منهجهم وطريقهم ، وبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم .

المتقون يدعون ما لا بأس به حذراً مما به بأس ويتقون الشبهات

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : " لا يبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يدع ما حاك في الصدر ".⁽¹⁾

قال الحافظ : المراد بالتقوى وقاية النفس عن الشرك والاعمال السيئة والمواظبه على الأعمال الصالحة ، وقوله " حاك " أى تردد ففيه إشارة أن بعض المؤمنين بلغ كنه الإيمان وحقيقته ، وبعضهم لم يبلغ . وقد أخرج ابن أبى الدنيا فى كتاب التقوى عن أبى الرداء قال : **(تمام التقوى أن تتقى الله حتى تترك ما ترى أنه حلال خشية أن يكون حراماً)**.⁽²⁾

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : " دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ".⁽³⁾

ومعنى ذلك أنهم يتركون كل ما يشكون فى حلة فإن الحلال المحض لا يحصل للمؤمن فى قلبه شك ، وغنما تسكن إليه النفس ، ويشبه هذا الحديث

(1) رواه البخارى تعليقا مجزوما به (45 / 1) الأيمان ، وروى الترمذى (278 / 9) صفة القيامة ، وابن ماجه (4215) الزهد ، والحاكم (319 / 4) عن عطيه السعدي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس " وقال الترمذى : حسن غريب وصح أسناده الحاكم والذهبي وضعفه الألبانى ، وأنظر بلوغ المرام (178) .

(2) فتح البارى (48 / 1) باختصار .
(3) رواه النسائى (230 / 8) أداب القضاء وقال أبو عبد الرحمن : هذا الحديث جيد ، وقال الألبانى : صحيح الأسناد موقوف - يعنى على عبد الله بن مسعود رضى الله عنه - وقد روى هذا الحديث مرفوعاً عن الحسن بن على بن أبى طالب خرجه أحمد والترمذى والنسائى وابن حبان والحاكم وصححه الترمذى وهو فى جامع العلوم الحديث الحادى عشر وأنظر كلام بن رجب رحمه الله (101 - 102) .

كذلك قوله صلى الله عليه وسلم : **(إن الحلال بين وبينهما أمور مشتهيات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام)**.⁽¹⁾

فالمتقون يتورعون عن الشبهات وعما يرتابون فيه ما ليس حلالاً بينا ، وذلك أدعى أن يتورعوا عن الحرام البين ، ومن اجتراً على الشبهة اجتراً كذلك على الحرام ، ففى رواية الصحيحين : **(فمن ترك ما يشتهه عليه من الإثم كان لما استبان أترك)** يعنى : أن ترك الإثم مع اشتباهه عليه فهو أولى بتركه إذا استبان أنه إثم .

قال ابن رجب رحمه الله : وههنا أمر ينبغى التفطن له وهو أن التدقيق فى التوقف عن الشبهات إنما يصلح لمن استقامت أحواله كلها وتشابهت أعماله فى التوقف والورع ، فأما من يقع فى انتهاك المحرمات الظاهره ثم يريد أن يتورع عن شئ من دقاءق الشبهة فإنه لا يحتمل له ذلك بل ينكر عليه ، كما قال ابن عمر لمن سأله عن دم البعوض من أهل العراق : يسألوننى عن دم البعوض وقد قتلوا الحسين وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : **(هما ريحانتى من الدنيا)**.⁽²⁾

وسأل رجل بشر بن الحرث عن رجل له زوجه وامه تأمره بطلاقها :

(1) رواه البخارى (126 / 1) الأيمان ، ومسلم (2711) المساقاه والمزارعه ، وابو داود (2313) البيوع ، والترمذى (189 / 5 - 199) البيوع ، وابن ماجه (3984) الفتن ، والدرامى (245 / 2) ، وأحمد (269 / 4) .

(2) رواه البخارى (95 / 7) فضائل الصحابه ، والترمذى (193 / 13) المناقب ، قال ابن الأثير : (الريحان والريحانه) الرزق والراحه ، ويسمى الولد ریحان وريحانه لذلك .

فقال إن كان بر أمه فى كل شئ ولم يبق من برها إلا طلاق زوجته فليفعل ، وإن كان يبرها بطلاق زوجته ثم يقوم بعد ذلك يشتري بقلًا ويشترط الخوصة - يعنى التى تربط بها حزمة لبقل - فقال أحمد : إيش هذه المسائل ؟ قيل : إن إبراهيم بن أبى نعيم يفعل ذلك . فقال أحمد : إن كان إبراهيم بن أبى نعيم فنعم ، هذا يشبه ذاك ، وغنما أنكر هذه المسائل ممن لا يشبه حاله ، وأما أهل التدقيق فى الورع فيشبه حالهم هذا ، وقد كان الإمام أحمد نفسه يستعمل فى نفسه هذا الورع فإنه أمر من يشتري له سمنًا فجاء على ورقة فأمر برد إلى البائع .⁽¹⁾

(1) جامع العلوم والحكم (103 - 104) باختصار .

ثمرات التقوى

ونختم هذا البحث المعطار بذكر ثمرات التقوى العاجلة والاجلة نسأل الله سعادة الأولى والأخرة فالتقوى هي أعظم سبب للسعادة فى الدنيا والأخرة ، بل لا سعادة بدونها ، لأن مدار التقوى على معرفة الله عز وجل معرفة تشغل العبد بطاعته وذكره وشكره ، وهذه من سعادة النفوس ، وما يترتب على ذلك من محبة الله عز وجل والرضا به وحسن التوكل عليه .

سعادة أعظم من السعادة الأولى ، فالمتقون يسعدون بالطاعة وثمارها فى الدنيا ، وشاهد هذه السعادة فى نفس العبد أنه إذا وقع فى معصية الله عز وجل لضعف وازع التقوى كم يجد من حرج فى صدره وضيق ووحشه بينه وبين الله عز وجل وبين عباد الله المؤمنين ، فلو حصلت له الدنيا بحذاقيرها لم تعوضه هذه الوحشة .

يقول ابن القيم رحمه الله واصافاً من ذاق شيئاً من سعادة التقوى ثم حرم ذلك :

" ومن ذاق شيئاً من ذلك طريقاً موصلةً إلى الله ثم تركها واقبل على إرادته وراحاته وشهواته ولذاته وقع فى آثار المعاصب ، وأودع قلبه سجون المضايق ، وعذب فى حياته عذاباً لم يعذب به احد من العالمين ، فحياته عجز وغم وحزن ، وموته كدر وحسره ، ومعاده أسف وندامه ، قد فرط عليه أمره وشتت عليه شمله ، وأحضر نفسه الغموم والاحزان ، فلا لذة الجاهلين

ولا راحة العارفين ، يستغيث فلا يغاث ، وبشتكى فلا يشتكى ، فقد ترحلت أفراحه وسروره مدبرة ، واقبلت الامه وأحزانه وحسراته ، فقد أبدل بأنسه وحشه ، ويعزه ذلاً ، وبغناه فقراً ، وبجمعيته تشتتاً ، وابعدوه فلم يظفر بقربهم ،

وأبدلوه مكان الأنس إباحشاً ذلك بأنه عرف طريقه إلى الله ثم تركها وناكب عنها مكباً

على وجهه ، فأبصر ثم عمى ، وعرف ثم انكر ، واقبل ثم أدبر ، ودعى فما أجاب وفتح

له فولى ظهره للباب ، وقد ترك طريق مولاه ، واقبل بحليته على هواه التوحيد

وميادين الأنس ورياض المحبه ،

وموائد القرب قد انحط بسبب إعراضه عن إلهه الحق إلى أسفل سافلين ،
وحصل فى عداد الهالكين ، فنار الحجاب تطلع كل وقت على فؤاده ،
وإعراض الكون عنه إذا أعرض عنه مولاه حائل بينه وبين مراده " .⁽¹⁾

إلى آخر ما ذكره رحمه الله فلا يستطيل ما ذكرناه والله يعصمنا من الزلل
ويمن علينا بصالح القول والعمل ، وكما رزقنا محبة الصالحين نسأله تعالى
أن يرزقنا سلوك طريقهم وذوق حلاوة مواجهتهم ، ونعوذ به من السلب بعد
العطاء ، ومن الحور بعد الكور ، وفى حدائق التقوى ننزه قلوبنا وجوارحنا
برؤية ثمرات التقوى وبشارات المتقين ،
والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم

⁽¹⁾ طريق الهجرتين (180) السلفيه .

ثمرات التقوى العاجلة

1 - المخرج من كل ضيق والرزق من حيث لا يحتسب :

قال تعالى : [وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ]
..... (الطلاق : 2-3)

عن ابن عباس رضى الله عنه : يجعل له مخرجاً : ينجيه من كل كرب فى الدنيا والآخرة
وقيل : المخرج هو أن يقنعه الله بما رزقه على صالح.
وقال الربيع بن خثيم : يجعل له مخرجاً : من كل شيء يجعل له مخرجاً من عقوبة أهل البدع ويرزقه اجنة من حيث لا يحتسب .

قيل : ومن يتق الله فى الرزق بقطع العلائق يجعل له مخرجاً بالكفاية .
وقال عمر بن عثمان الصدقى : ومن يتق الله فيقف عند حدوده ويتجنب معاصيه يخرج من الحرام إلى الحلال ، ومن يضيق إلى السعة ، ومن النار إلى الجنة ، ويرزقه من حيث لا يحتسب من حيث لا يرجو . وقال ابن عيينه : هو البركة فى الرزق .
وقال أبو سعيد الخدرى : ومن يبرأ من حوله وقوته بالرجوع إلى الله يجعل له مخرجاً مما كلفه بالمعونة له .⁽¹⁾

2- السهولة واليسر فى كل أمر :

قال الله تعالى [وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا]
(الطلاق : 4)
قال مقاتل : ومن يتق الله فى اجتناب معاصيه يجعل له من أمره يسراً فى توفيقه للطاعة .⁽²⁾

(1) باختصار من الجامع لأحكام القرآن (8 / 6638 ، 6639) .

(2) الجامع لأحكام القرآن (8 / 6644) .

قال سيد قطب رحمه الله : واليسر فى الأمر غاية ما يرجوه الإنسان ، وإنها لنعمة كبرى أن يجعل الله الأمور لعبد من عباده فلا عنت ولا مشقة ولا عسر ولا ضيقة يأخذ الأمور بيسر فى شعوره وتقديره ، وينالها بيسر فى حركته وعمله ، ويرضاها بيسر فى حصيلتها ونتيجتها ويعيش من هذا ، فى يسر رضى ندى حتى يلقى الله .⁽¹⁾

3- تيسير تعلم العلم النافع :

قال الله تعالى : [وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ] (البقرة : 282)

قال العلامة محمد رشيد رضا : أى اتقوا الله فى جميع ما أمركم به ونهاكم عنه وهو يعلمكم ما فيه قيام مصالحكم وحفظ أموالكم وتقوية رابطتكم ، فغنكم لولا هدايته لا تعلمون ذلك ، وو سبحانه العليم بكل شئ . فإذا شرع شيئاً فإنما يشرعه عن علم محيط بأسباب درء المفسد وجلب المصالح لمن تبع شرعه ، وكرر لفظ الجلاله لكمال التذكير وقوة التأثير .⁽²⁾

(1) فى ظلال القرآن (6 / 3602) .

(2) أستدل الصوفيه بهذه الآية الكريمة على ما يزعمون بحصول العلم اللدنى ، وأن ما يأتونه من رياضات وأوراد يكفى فى حصول ذلك العلم دون أن يأخذوا بأسباب العلم من طلبه وتعلمه ن وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : " إنما العلم بالتعلم " ذكره البخارى تعليقا مجزوماً به وسيأتى تخريجه إن شاء الله ، ويقولون فخراً : أخذت منكم ميتاً عن ميت ، وأخذنا علمنا عن الحى الذى لا يموت . ويقول بعضهم : أنتم تأخذون عن عبد الرزاق ونحن نأخذ عن الواحد الخلاق . وهذا لا شك فيه من جهلهم بالدين وفتح أبواب الشياطين ، فيدعى من شاء ما يشاء ويقول : حدثنى قلبى عن ربى . ولا شك أن من يوحى إليه بتكاليف شرعية يثبت له بذلك مرتبة النبوه ، ورسولنا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ولفظ الآية لا يساعده على دعواهم فلم يقل الله عز وجل : واتقوا الله يعلمكم الله وإلا كان مفيداً لما قالوه . والعطف يقتضى المغايره ، والصحيح أن يقال : ييسر الله عز وجل للعبد أسباب التعلم إذا اتقى الله عز وجل ، ويدل على ذلك أثر من عمل لما علم ورثة الله علم ما لم يعلم ومما يوضح ذلك الثمرة الرابعه .

وقال البيضاوى : كرر لفظ الجلاله فى الجمل الثلاث لاستقلالها ، فالأولى حث على التقوى ، والثانية وعد بإنعامه ، والثالثة تعظيم بشأنه ، ولأنه أدخل فى التعظيم من الكناية .

4- إطلاق نور البصيرة :

قال الله تعالى : [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا] (الانفال : 29)

قال العلامة محمد رشيد رضا : الفرقان فى اللغة هو الصبح الذى يفرق بين الليل والنهار ، ويسمى القرآن فرقاناً لأنه يفرق بين الحق والباطل ، وتقوى الله فى الأمور كلها تعطى صاحبها نوراً يفرق به بين دقائق الشبهات التى لا يعملهن كثير من الناس ،
فهى تفيده علماً خاصاً لم يكن ليهتدى إليه لولاها ، وهذا العلم هو غير العلم الذى يتوقف على التلقين كالشرع أصوله وفروعه ، وهو ما لا تتحقق التقوى بدونه ،
لأنها عبارة عن العمل فعلاً وتركاً بعلم ، فالعلم الذى هو أصل التقوى وسببها لا يكون
إلا بالتعلم كما ورد فى الحديث: **(العلم بالتعلم)** (1)

وإذا علمت أن التقوى عمل يتوقف على علم ، وأن هذا العلم لا بد أن يؤخذ بالتعلم والتلقى ، وأن العلم بالعلم من اسباب المزيد فيه ، وخروجه من مضيق الابهام والإجمال إلى فضاء الجلاء والتفصيل ، فهمت المراد بالفرقان على عمومه ،
وعملت أن أدعياء التصوف الجاهلين لا حظ لهم من ذلك العلم الأول ، ولا من هذه التقوى
التي هى أثره ، ولا من العلم الأخير الذى هو أثر العلم والتقوى جميعاً . (2)

(1) قال الحافظ : " إنما العلم بالتعلم " هو حديث مرفوع أيضاً أورده ابن أبى عاصم والطبرانى من حديث معاوية - ثم ذكر - وإسناده حسن إلا ان فيه مبهماً اعتضد بمجيئه من وجه آخر (فتح الباري 11 / 161) وقال الألبانى : رواه الخطيب فى تاريخه
(27 / 9) عن أبى هريره مرفوعاً ومحسناً وأنظر الصحيحة رقم (342) .
(2) باختصار وتصرف من تفسير المنار (3 / 129 - 131) .

5- محبة الله عز وجل ومحبة ملائكته والقبول فى الأرض :

قال الله تعالى : [بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ] (أل عمران : 76)

عن أبى هريره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إذا أحب العبد قال لجبريل : قد أحببت فلانا فأحبه ، فيحبه جبريل عليه السلام ، ثم ينادى فى أهل السماء : إن الله قد أحب فلانا فأحبه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول فى الأرض) .⁽¹⁾

وكتب أبو الدرداء إلى مسلمة بن خالد : سلام عليك أما بعد ، فإن العبد إذا عمل بطاعة الله أحبه الله ، فإذا أحبه الله حبه إلى عباده .

وعن هرم بن حيان قال : ما أقبل عبد بقلبه عبد بقلبه إلى الله إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين عليه حتى يرزقهم مودته .

فقد وعد الله عز وجل عبادة المؤمنين الذين يداومون على الأعمال الصالحة بهذه المودة والمحبة كما قال تعالى : [إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا] ... (مريم : 96)

6- نصره الله عز وجل وتأيدته وتسديده :

وهي المعية المقصودة يقول الله تعالى : [وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ]
..... (البقرة: 194)

فهذه المعية هي معية التأيد والنصره والتسديد وهي معية الله عز وجل لأنبيائه ومعيته للمتقين والصابرين .

(1) البخارى (10 / 461) الأدب ، ورواه مسلم (16 / 183 - 184) البر والصله ، ومالك فى الموطأ (2 / 953) الشعر .

قال ابن رجب رحمه الله : وهذه المعية الخاصة بالمتقين غير المعية العامة المذكورة فى

قوله تعالى : [وَهُوَ مَعَكُمْ أَيَّنَمَا كُنْتُمْ] (الحديد : 4)
 وقوله : [وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ] (النساء : 108)

فإن المعية الخاصة تقتضى النصر والتأييد والحفظ والإعانة كما قال تعالى لموسى عليه السلام وهارون : [قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى] (1) (طه : 46)

والمعية العامة تستوجب من العبد الحذر والخوف ومراقبة ، الله عز وجل .
 وأما الخاصة فتستوجب من العبد الأُنس بالله عز وجل والثقة بنصره وتأييده .

قال قتادة : ومن يتق الله يكن معه ، ومن يكتن بالله معه فمعه الفئه التى لا تغلب والحارس الذى لا ينام ، والهادى الذى لا يضل .
 وكتب بعض السلف إلى أخيه : أما بعد إن كان الله معك فمن تخاف وإن كان عليك فمن ترجو .

7- البركات من السماء والأرض :

قال تعالى : [وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ]
 (الاعراف : 96)

قال القاسمى رحمه الله : (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى (أى : القرى المهلكة (آمَنُوا) أى : بالله ورسلمهم (وَاتَّقَوْا) أى : الكفر والمعاصى (لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ)
 أى : لو سنعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب مكان ما أصابهم من فنون العقوبات من السماء وبعضها من الأرض . (2)

(1) نور الأقباس فى مشكاة وصية النبى صلى الله عليه وسلم لابن عباس (41) .

(2) محاسن التأويل (7 / 221) باختصار .

ويدل على هذا قوله عز وجل : [وَاللّٰوِ اسْتَقَامُوا عَلٰى الطَّرِيْقَةِ
لَاسْقِيْنَاهُمْ مَّاءً غَدَقًا..] (الجن : 16)

يقول ابن القيم رحمه الله : فإذا أراد الله أن يطهر الأرض من الظلمه والخونة والفجرة ، يخرج عبداً من عباده من أهل بيت نبيه صلى الله عليه وسلم فيملاً الأرض قسطاً كما ملئت جوراً ، ويقتل المسيح ايهود والنصارى ، ويقيم الدين الذى بعث الله به رسوله ، وتخرج الأرض بركتها ، وتعود كما كانت ، حتى إن العصاة من الناس لياكلون من الرمانة ويستظلون بقحفها ، ويكون العنقود من العنب وقر بعير ، ولبن اللقحة الواحدة يكفى الفئام من الناس ، وهذا لأن الأرض لما طهرت من المعاصى ظهرت فيها آثار البركة من الله تعالى الت محقتها الذنوب والكفر .⁽¹⁾

فانظر إلى بركات التقوى ، واعلم أن ما نحن فيه من قلة البركة ونقص الثمار وكثرة الأفات والأمراض إنما هو نتيجة حتمية لضعف وازع التقوى وكثرة المعاصى كما قال الله تعالى : [ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ] (الروم : 41) .

8- البشرى وهى الرؤيا الصالحة وثناء الخلق ومحبتهم .

قال تعالى : [أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (63) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ] (يونس : 62-64)

قال الزمخشري رحمه الله :
والبشرى فى الدنيا ما بشر الله به المؤمنين المتقين فى غير مكان من كتابه وعن النبى صلى الله عليه وسلم : (**هى الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له**) .⁽²⁾

(1) الجواب الكافى (67) باختصار - دار عمر بن الخطاب .

(2) رواه الترمذى (128 / 9) أبواب الرؤيه وقال : هذا حديث حسن ، ومالك فى الموطأ (2 / 958) الرؤيا ، والحاكم (4 / 391) الرؤيا وصححه ووافقه الذهبى .

وعنه صلى الله عليه وسلم : **(ذهب النبوة وبقيت المبشرات)** ⁽¹⁾ :
 وقيل : هى محبة الناس
 له والذكر الحسن . وعن أبى ذر قال : قلت لرسول الله صلى الله عليه
 وسلم : الرجل
 يعمل العمل لله ويحبه الناس . فقال : **(تلك عاجل بشرى المؤمنين)** .
 (2)

وعن عطاء : لهم البشرى عند الموت تأتيهم الملائكة بالرحمة قال الله
 تعالى : [تَنْزِيلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا
 بِالْجَنَّةِ] (فصلت : 30)
 وأما البشرى فى الآخرة فتلقى الملائكة إياهم مبشرين بالفوز والكرامة ،
 وما يرون من بياض وجوههم وإعطاء الصحائف بأيمانهم وما يقرءون منها
 وغير ذلك من البشارات .⁽³⁾

9- الحفظ من كيد الأعداء ومكرهم

قال تعالى : [وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَأَيُّضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ
 اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ]
 (آل عمران : 120)

قال ابن كثير رحمه الله : يرشدهم تعالى إلى السلامه من شر الأشرار
 وكيد الفجار باستعمال الصبر والتقوى والتوكل على الله الذى هو محيط
 بأعدائهم ، فلا حول ولا قوة لهم إلا به ، وهو الذى ما شاء كان وما لم يشأ لم
 يكن .⁽⁴⁾

وقال الزمخشري رحمه الله : وإن تصبروا على عدواتهم وتتقوا ما نهيتهم
 عنه من موالاتهم ، أو إن تصبروا على التكاليف الدين ومشاقه ، وتتقوا الله
 فى اجتناب محارمه ، وكنتم فى كنف الله فلا يضركم كيدهم .

(1) رواه البخارى (375 / 12) التعبير ، والترمذى (127 / 9) أبواب الرؤيا عن أنس
 (2) رواه مسلم (189 / 16) البر والصله ، وأحمد (5 / 256 - 157 - 168) ، وابن ماجه (4225) الزهد ،

وقال العلماء : معناه هذا البشرى المعجله له بالخير وهى الدليل على رضا الله تعالى ومحبه له
 فيحبه إلى الخلق كما سبق فى الحديث ثم يوضع له القبول فى الأرض هذا كله إذا حمده الناس من
 غير تعرض منه لمحامدهم وإلا فاتعرض مذموم - شرح النووى على صحيح مسلم (189 / 16) .

(3) الكشاف (2 / 356) باختصار

(4) تفسير القرآن العظيم (1 / 329) .

وهذا تعليم من الله وإرشاد إلى أن يستعان على كيد العدو بالصبر والتقوى ،
وقد قال الحكماء : إذا أردت أن تكبت من يحسدك فازدد فضلاً في نفسك (**إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ**) من الصبر والتقوى وغيرهما محيط ففاعل بكم ما
أنتم أهله . (1)

10- حفظ الذرية الضعاف بعناية الله عز وجل

قال الله تعالى : [**وَلِيُخَبِّشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً
ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا**]
..... (النساء : 9)

قال القاسمي رحمه الله :
وفي الآية أشاره إلى إرشاد الأباء الذين يخشون ترك ذرية ضعاف بالتقوى
في سائر شئونهم حتى تحفظ أبنائهم وتغاث بالعناية منه تعالى ، ويكون في
إشعارها تهديد بضياح أولادهم إن
فقدوا تقوى الله ، وإشاره إلى أن تقوى الأصول تحفظ الفروع ، وأن
الرجال

الصالحين يحفظون في ذريتهم الضعاف كما في الآية :
[**وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ
كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا**]
(الكهف : 82)

فإن الغلامين حفظا ببركة صلاح أبيهما في أنفسهما ومالهما . (2)

قال محمد بن المنكدر :
إن الله ليحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده وقريته التي هو فيها
والدويرات التي حولها
فما يزالون في حفظ الله وستره .
وقال ابن المسيب لابنه : يا بني إنى لأزيد في صلاتي من أجلك رجاء أن
أحفظ

وتلا هذه الآية : [**وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا**] (الكهف : 82)

(1) الكشاف (408 / 1)
(2) محاسن التأويل (47 / 5)

11- سبب لقبول الأعمال التي بها سعادة العباد في الدنيا والآخرة

قال تعالى : [قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ] (المائدة : 27)

قال الزمخشري رحمة الله :
لما كان الحسد لآخيه على تقبل قربانه هو الذى حمله على توعده لآخيه بالقتل قال له :
إنما أتيت من قبل نفسك لأنسلاخها من لباس التقوى لا من قبلى , فلم تقتلنى ,
ومالك لا تعاتب نفسك ولا تحملها على تقوى الله التى هي السبب فى القبول , فأجابه بكلام حكيم جامع لمعانى الخير وفيه دليل على أن الله تعالى لا يقبل طاعة إلا من مؤمن متق ,
فما أنعاه على أكثر العاملين أعمالهم .

وعن عامر بن عبد الله أنه بكى حين حضرته الوفاة فقبل له : ما يبكيك فقد كنت وكنت ؟ قال : إني أسمع الله يقول : (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) . (1)

وقال الغزالي رحمة الله :
تأمل أصلاً واحداً وهو أنه هب أنك قد تعبت جميع عمرك فى العبادة , وكابدت حتى حصل لك ما تمنيت , أليس الشيطان كله فى القبول , ولقد عملت أن الله تعالى يقول (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) فرجع الأمر كله الى التقوى . (2)

وقال بعض السلف : لو أعلم أن الله يقبل منى سجدة بالليل وسجدة بالنهار لبطرت شوقاً إلى الموت , إن الله عز وجل يقول : (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) .

(1) الكشاف (1 / 624) .

(2) منهاج العابدين (72) .

12- سبب النجاة من عذاب الدنيا

قال تعالى : [وَأَمَّا تَمُودُ فَهَدَيْتَاهُمْ فَأَسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذْتَهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (17) وَتَجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ] (فصلت : 17 - 18)

قال ابن كثير رحمة الله :
(وَأَمَّا تَمُودُ فَهَدَيْتَاهُمْ) قال ابن عباس رضى الله عنهما وأبو العالية وسعيد بن جبير وقتادة والسدى وابن زيد : بينا لهم ووضحنا لهم الحق على لسان نبيهم صالح عليه الصلاة والسلام ، فخالفوه وكذبوه وعقروا ناقة الله تعالى التى جعلها آية وعلامة على صدق نبيهم
(فَأَخَذْتَهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ) أى : بعثنا عليهم صيحة ورجفة
وذلاً وعذاباً ونكالاً

(بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) أى : من التكذيب والجحود ، (وَتَجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا) أى : من بين أظهرهم لم يمسهم سوء ولا نالهم من ذلك ضرر ، بل نجاهم الله تعالى مع نبيهم صالح عليه السلام بإيمانهم وتقواهم لله عز وجل
(1)

13- ما يجعله الله لهم من الشرف وهيبة الخلق وحلاوة المعرفة والإيمان :

قال ابن رجب رحمة الله :
ومنها (أى : مما يرغب فى شرف الآخرة) وليس هو قدرة العبد ولكنه من فضل الله ورحمته ما يعوض الله عباده العارفين به الزاهدين فيما يفنى من المال والشرف مما يجعله الله لهم فى الدنيا من شرف التقوى وهيبة الخلق لهم فى الظاهر ، ومن حلاوة المعرفة والإيمان والطاعة فى الباطن ، وهى الحياة الطيبة التى وعدّها الله لمن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ، وهذه الحياة الطيبة لم يذقها الملوك فى الدنيا ولا أهل الرياسات والحرص على الشرف .

(1) تفسير القرآن العظيم (4 / 95) .

كان حجاج بن أرطاة يقول : قتلنى حب الشرف , فقال له سوار لو اتقيت
الله شرفت . وفى هذا المعنى قيل :

ألا إنما التقوى هى العز والكرم
الذل والسقم
وليس على عبد تقى نقيصة إذا
حاك أو حجم
وحبك للدنيا هو
حقوق التقوى وإن

وقال صالح الباجى : الطاعة إمرة , والمطيع لله أمير مؤمر على الأمراء , ألا
ترى هيئته

فى صدورهم إن قال قبلوا , وإن أمر أطاعوا , ثم يقول : يحق لمن أحسن
خدمتك ومننت عليه بمحبتك أن تذلل له الجابرة حتى يهابوه لهيئته فى
صدورهم من هيبتك فى قلبه , وكل الخير من عندك بأوليائك .

وقال ذا النون المصرى : من أكرم وأعز ممن انقطع إلى من ملك الأشياء
بيده .

كان مالك بن أنس يهاب أن يسأل حتى قال فيه القائل :
يدع الجواب ولا يرجع هيبة
نور الوقار وعز سلطان التقى
سلطان⁽¹⁾
والسائلون نواكس الأذقان
فهو المهيب وليس ذا

14- الذرة من صاحب تقوى أفضل من أمثال الجبال عبادة من المغترين :

قال أبو الدرداء رضى الله عنه : يا حبذا نوم الأكياس وفطرتهم وكيف
يغبنون به قيام الحمقى وصومهم , والذرة من صاحب تقوى أفضل من أمثال
الجبال عبادة من المغترين وهذا من جواهر الكلام وأدله على كمال فقه
الصحابة وتقدمهم على من بعدهم فى كل خير رضى الله عنهم .
فاعلم أن العبد إنما يقطع منازل السير الى الله بقلبه لا بيدنه والتقوى فى
الحقيقه تقوى الروح لا تقوى الجوارح .

(1) باختصار من شرح حديث (ما ذئبان جائعان) لابن رجب الحنبلى (21-22) - دار الفتح .

فالكيس يقطع من المسافة بصحة العزيمة وعلو الهمة وتجريد القصد وصحة النية مع العمل القليل , أضعاف أضعاف ما يقطعه الفارغ من ذلك مع التعب الكثير والسفر الشاق , فإن العزيمة والمحبة تذهب المشقة وتطيب السير والتقدم والسبق الى الله سبحانه إنما هو بالهمم وصدق الرغبة والعزيمة فيتقدم صاحب الهمة مع سكونه صاحب العمل الكثير بمراحل , فإن ساواه فى همته تقدم عليه بعمله .⁽¹⁾

فالأعمال تتفاضل بحسب ما فى قلوب أصحابها من إيمان وتقوى لله عز وجل , وإن الرجلين ليكونان فى صف واحد وخلف إمام واحد يكبران بتكبيره ويسلمان بتسليمه وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض , وكم من قائم محروم وكم من نائم مرحوم , هذا قام وقلبه فاجر وهذا نام وقلبه عامر فالسير سير القلوب والسبق سبق الهمم .

من لى بمثل سيرك المدلل تسير رويداً وتجئ فى
الاول

(1) الفوائد (186 – 187) لابن القيم باختصار .

الثمرات الأجله

1- تكفير السيئات وهو سبب النجاة من النار , وعظم الأجر وهو سبب الفوز بدرجات الجنة :

قال تعالى : [وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا] (الطلاق : 5)

قال ابن كثير رحمه الله : أى : يذهب عنهم المحظور , ويجزل لهم الثواب على العمل اليسير . (1)

وقال ابن جرير رحمه الله : ومن يخف الله فيتقه باجتناب معاصيه وأداء فرائضه يمحو الله عنه ذنوبه وسيئات أعماله (وَيُعْظِمُ لَهُ أَجْرًا) يقول ويجزل له الثواب على عمله ذلك وتقواه , ومن إعظامه له الأجر أن يدخله جنته فيخلده فيها . (2)

وقال تعالى : [وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ] (المائدة : 65)

ولا يصدر عن النار بعد ورودها إلا المتقون قال الله تعالى : [وَإِنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (71) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا] (مريم 71 - 72)

2- عز الفوقية فوق الخلق يوم القيامة :

قال الله تعالى : [زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ] (البقره : 212)

(1) تفسير القرآن العظيم (4 / 382) .

(2) جامع البيان فى تفسير القرآن (12 / 93) .

قال القاسمي رحمة الله : (زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا) حتى بدلوا النعمة (الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) لحضورها فألهتهم عن رغائب الآخرة .

قال الحدالي : ففي ضمنه إشعار بأن استحسان بهجة الدنيا كفر ما , من حيث إن نظر العقل والإيمان يبصر طبيعتها ويشهر جيفتها فلا يغتر بزينتها وهي أفة الخلق في انقطاعهم عن الحق , فأبهم تعالى المزين في هذه الآية ليشمل أدنى التزيين الواقع على لسان الشيطان . وأخفى التزيين الذي يكون من استدراج الله كما في قوله تعالى : [كَذَلِكَ رَبَّنَا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ] (الأنعام : 108)

قوله (وَيَسْخَرُونَ) أي : يهزأون (مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا) وهذا كما قال تعالى : [إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَصْحَكُونَ (29) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَرُونَ] (المطففين : 29 - 30)

(وَالَّذِينَ اتَّقَوْا) وهم المؤمنون وإنمات ذكروا بعنوان التقوى لحضهم عليها , وإيداناً بترتيب الحكم عليها (فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) لأنهم في عليين وهم في أسفل سافلين , أو لأنهم يتناولون عليهم في الآخرة فيسخرون منهم كما يسخروا منهم في الدنيا , كما قال تعالى : [قَالِيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَصْحَكُونَ (34) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ] (المطففين : 34 - 35)

ولذا قال الراغب : يحتمل قوله تعالى (فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) وجهين أحدهما : أن حال المؤمنين في الآخرة أعلى من حال الكفار في الدنيا . والثاني : أن المؤمنين في الآخرة في الغرفات , والكفار في الدرك الأسفل من النار⁽¹⁾ انتهى .

(1) محاسن التأويل (3 / 182 : 185) باختصار .

3- ميراث الجنة فهم أحق الناس بها وأهلها , بل ما اعد الله الجنة إلا لأصحاب هذه الرتبة العلية والجوهرة البهية

قال تعالى : [تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا] (مريم : 63)

فهم الورثة الشرعيون لجنة الله عز وجل .

قال الزمخشري رحمة الله : (نُورِثُ) وقرئ (نُورِثُ) أستعارة أى : نبقى عليه الجنة كما نبقى على الوارث مال المورث , ولأن الاتقياء يلقون ربهم يوم القيامة قد انقطعت أعمالهم وثمراتها باقية وهى الجنة , فإذا أدخلهم الجنة فقد أورثهم من تقواهم كما يورث المال من المتوفى , وقيل أورثوا من الجنة المساكن التى كانت لأهل النار لو أطاعوا⁽¹⁾ وقال تعالى : [وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ] (آل عمران : 133)

وقال تعالى : [إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ] (القلم : 34)

4- وهم لا يذهبون الى الجنة سيرا على أقدامهم بل يحشرون اليها ركباناً :

مع أن الله عز وجل يقرب اليهم الجنة تحية لهم ودفعاً لمشتقهم كما قال تعالى :

[وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ] (ق : 31)
وقال تعالى : [يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا] (مريم : 85)

قال ابن كثير رحمه الله :

يخبر تعالى عن أوليائه المتقين الذين خافوه فى الدار الدنيا , واتبعوا رسله , وصدقوهم فيما أخبروا , وأطاعواهم فيما أمرهم به , وانتهوا عما زجروهم , انه يحشروهم يوم القيامة وفداً اليه , والوفد هم القادمون ركباناً , ومنه الوفود , وركوبهم على نجائب من نور من مراكب الدار الاخرة وهم قادمون على خير موفود إليه الى دار كرامته ورضوانه .⁽²⁾

(1) الكشاف (28 / 3) .

(2) تفسير القرآن العظيم (137 / 3) .

وقال الزمخشري رحمة الله :
 ذكر المتقون بلفظ التبجيل ، وهو أنهم يجمعون إلى ربهم الذي غمهم
 برحمته وخصهم برضوانه وكرامته ، كما يفد الوفاة على الملوك منتظرين
 للكرامة عندهم ، وعن علي رضي الله عنه : ما يحشرون والله على أرجلهم
 ولكنهم على نوق رجالها ذهب ، وعلى نجائب سروجها ياقوت . (1)

5- وهم لا يدخلون أدنى درجاتها بل يفوزون فيها بأعلى الدرجات وأفضل النعيم نسأل الله من فضله العظيم

قال تعالى : [إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا] (النبأ : 31)
 وقال تعالى : [هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ] (ص : 49)
 والمآب هو المرجع والمقلب ، ثم فصل ذلك عز وجل فقال تعالى : [جَنَّاتٍ عَدْنٍ مَّفْتَحَةٌ لَهُمْ الْأَبْوَابُ (50) مُتَّكِنِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ (51) وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ الْأَثْرَابُ (52) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ (53) إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ تَقَادٍ] (ص : 50 - 54)

وبين الله عز وجل قربهم من الحضرة واللقاء والرؤية والبهاء . فقال عز وجل :

[إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَتَهْرٍ (54) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ] (القمر : 54 - 55)

قال القرطبي : (فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ) أي : مجلس حق لا لغوفيه ولا تأثيم ، وهو الجنة
 (عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ) أي : يقدر على ما يشاء وعند هاهنا عندية القرية والزلفة والمكانة والرتبة والكرامة والمنزلة . (2)

(1) الكشاف (42 / 3) وأثر علي رضي الله عنه أخرجه ابن أبي شيبة ، وعبد الله بن أحمد في زيادات المسند ، والطبري وابن أبي حاتم من رواية عبد الرحمن بن أسحق بن النعمان بن سعد بن علي نحوه ، وأخرجه ابن أبي داود - في كتاب البعث من هذا الوجه مرفوعاً ، ورواه ابن عدي عن حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً أيضاً .
 (2) الجامع لأحكام القرآن (6320 / 7) .

وقال الزمخشري : (فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ) فى مكان مرضى , وقرئ فى مقاعد صدق عند مليك مقتدر مقرين عند مليك مبهم أمره فى الملك والافتدار , فلا شئ إلا وهو تحت ملكه وقدرته , فإى منزلة أكرم من تلك المنزلة وأجمع للغبطة كلها والسعادة بأسرها ⁽¹⁾ ولا عجب فى ذلك فقد جمع الله عز وجل للمتقين كل نعيم الآخرة فقال تعالى : [وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ] (الزخرف : 35)

وقال تعالى : [وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ] (القصص : 83)
 ووصف دارهم فقال عز وجل : [وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ] (النحل : 30)

6- وهى تجمع بين المتحابين من أهلها حين تنقلب كل صداقة ومحبة الى عداوة ومشاقة

قال تعالى : [الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ] (الزخرف : 67)

قال الزمخشري :

تتقطع فى ذلك اليوم كل خلة بين المتخالين فى غير ذات الله وتنقلب عداوة ومقتاً إلا خلة المتصادقين فى الله فإنها الخلة الباقية المزدادة قوة إذا رأوا ثواب التحاب فى الله تعالى والتباغض فى الله وقيل : إلا المتقين والمجتنبين أخلاء السوء . ⁽²⁾

فالمتقون هم الذين تدوم محبتهم وختهم كما قيل :
 ما كان لله دام واتصل
 وما كان لغير الله انقطع
 وانفصل

(1) الكشاف (4 / 442) .

(2) الكشاف (3 / 263) .

ومن بركة التقوى كذلك ينزع الله عز وجل ما قد يعلق بقلوبهم من الضغائن والغل فتزداد مودتهم وتتم محبتهم وصحبته كما قال تعالى : [إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (45) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ أَمِينٍ (46) وَتَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ]

..... (الحجر : 45 - 47)

قال ابن الجوزي : قال ابن الانباري : ما مضى من التأخى قد كان تشوبه ضغائن وشحناء ، وهذا التأخى بينهم الموجود عند نزع الغل هو تأخى المصافاة والإخلاص .⁽¹⁾

7 - وهم يسعدون بالصحبه والمحبه وهم يساقون إلى الجنة زمراً زمراً :

قال تعالى : [وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ] (الزمر : 73)

قال ابن كثير رحمه الله : وهذا إخبار عن حال السعداء المؤمنين حين يساقون على النجائب وفداً إلى الجنة (زُمَرًا) أي : جماعة المقربون ثم الأبرار ثم الذين يلونها كل طائفة مع ما يناسبهم : الأنبياء مع الانبياء ، والصديقون مع أشكالهم ، والشهداء مع أضرابهم ، والعلماء مع أقرانهم ، وكل صنف مع صنف ، وكل زمرة تناسب بعضها بعضاً⁽²⁾

وقال القرطبي : قوله تعالى : (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا) والزهاد والعلماء والقراء وغيرهم ممن اتقى الله تعالى وعمل بطاعته ، وقال في حق الفريقين :

(1) زاد المسير (4 / 404) المكتب الإسلامي

(2) تفسير القرآن العظيم (4 / 5) .

(وَسِيقَ) بلفظ واحد فسوق أهل النار طردهم إليها بالخزي والهوان
كما يفعل بالأسارى والخارجين على السلطان إذا سيقوا الى حبس أو قتل ,
وسوق أهل الجنان سوق مراكبهم الى دار الكرامة والرضوان , لأنه لا يذهب
بهم إلا
راكبين كما يفعل بمن يشرف ويكرم من الوافدين على بعض الملوك
فشتان ما بين السوقين .⁽¹⁾

وقيل كل جماعة أو طائفة تعاونت على الخير والطاعة فإنهم ينادون يوم
القيامة
ويكونون زمرة من الزمر المساقه الى الجنة .

(1) الجامع لأحكام القرآن (7 / 5728 - 5729) .

خاتمة نسأل الله حسنها إذا بلغت الروح المنتهى

وقد سعدنا بصحبة التقوى وأهلها وثمارها بين طيات هذا الكتاب المبارك ,
فهل لك يا أخى القارئ الكريم فى أن تحقق لنفسك السعادة فى لحظة
واحدة , وهى لحظة صدق يجلس فيها العبد الى نفسه فلا يخدعها ولا تخدعه
, يفكر فيما مضى من عمره , ويتذكر قول القائل :
ما مضى من أعمارنا وإن طالت أوقاته فقد ذهبت لذاته وبقيت تبعاته , وكأنه
لم يكن إذا جاء الموت وميقاته , قال الله عز وجل :
[أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (205) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا
يُوعَدُونَ (206) مَا أَعْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ]
(الشعراء : 205 - 207)

تلا بعض السلف هذه الآية وبكى وقال : إذا جاء الموت لم يغن عن المرء ما
كان فيه من اللذة والنعيم , وفى هذا المعنى ما أنشده أبو العتاهية للرشيد
حين بنى قصره واستدعى إليه ندماءه .

فى ظل شاهقة

عش ما بدل لك سالماً

القصور

لدى الرواح وفى

يسعى عليك بما اشتهيت

البكور

فى ضيق حشرجة

فإذا النفوس تقععت

الصدور

ما كنت إلا فى غرور⁽¹⁾

فهناك تعلم موقنا

فالدنيا معبر لا مقر وراحلة لا مكث , والسعيد من اتعظ بغيره وانتهز فرصة
الحياة فى التزود للأخرة .

قال الحسن : نعمت الدار كانت للمؤمن , وذلك لأنه عمل فيها قليلاً وأخذ
منها زاده الى الجنة , وبئست الدار الدنيا كانت للكافر والنافق وذلك لأنه
أضاع

(1) باختصار وتصرف من (لطائف المعارف) لابن رجب الحنبلى (315 ، 317) دار الجيل

فيها لياليه وأخذ منها زاده الى النار , وكل نفس من أنفاس العمر جوهرة
ثمنية تستطيع أن تشتري بها كنزاً لا يقنى ابد الآباد :

يا من بدنياه انشغل
الموت يأتي بغته
وغره طول الامل
والقبر صندوق العمل

فهل لك يا عبد الله فى الفلاح والنجاح والفوز والنجاة فى لحظة واحدة ,
لحظة صدق تتذكر ما مضى من جنایات ومخالفات فتصلح الماضى بتوبة ,
وتصلح الحاضر بعمل صالح , وتصلح المستقبل بعزيمة صادقة ونية مخلصه
على الاستمرار فى طاعة الله عز وجل والتزود بالتقوى.

قال الله عز وجل :

﴿ إِن الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ
أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (30)
نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا
تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (31) نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ
رَّحِيمٍ [..... (فصلت : 30 - 32)

وقال النبى : **(قل أمنت بالله ثم استقم)** ⁽¹⁾ فما أوجزه واطيبه
وأجمعه لخيرى الدنيا والآخرة و كيف لا وهو من كلام من أوتى جوامع الكلم
صلى الله عليه وسلم .

قال ابن القيم رحمة الله :

هلم الى الدخول على الله ومجاورته فى دار السلام بلا نصب ولا تعب ولا
عناء , بل من أقرب الطرق وأسهلها , وذلك أنك فى وقت بين وقتين وهو
فى الحقيقة عمرك وهو وقتك الحاضر بين ما مضى وما يستقبل , فالذى
مضى

(1) رواه مسلم (2 / 9 - 9) الأيمان , وأحمد (3 / 413) , (4 / 385) وفيه زيادة قال : وما أتقى فأوماً
إلى لسانه , ورواه الترمذى (9 / 249) الزهد , وابن ماجه (3972) . > بلفظ : قل ربى الله <

تصلحه بالتوبة والندم والاستغفار , وذلك شئ لا تعب عليك فيه ولا نصب ولا معاناة عمل شاق , وإنما هو عمل القلب وتمتع فيما يستقبل من الذنوب , وامتناعك ترك راحة ليس هو عملاً بالجوارح يشق عليك معاناته , وإنما هو عزم ونية جازمة تريح بدنك وقلبك وسرك ,
فما مضى نصلحه بالتوبة , وما يستقبل تصلحه بالامتناع والعزم والنية , وليس للجوارح فى هذين نصب لا تعب , ولكن الشأن فى عمرك وهو وقتك الذى بين الوقتين فإن أضعته أضعت سعادتك ونجاتك , وإن حفظته مع إصلاح الوقتين اللذين قبله وبعده بما ذكر نجوت وفزت بالراحة واللذة والنعيم .⁽¹⁾

نسأل الله أن يختم لنا بخاتمة السعادة وأن يرزقنا الحسنى وزيادة , وأن يجعلنا من عباده المتقين الذين يسعدون فى الدنيا بالطاعات ومحبة رب العالمين , وفى الآخرة بالجنات والنظر الى وجه الله الكريم ,
وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

(1) الفوائد (151 ، 152) دار الدعوه .

مراجع البحث

أ - تفاسير :

- 1- أضواء البيان لمحمد الأمين الشنقيطى المدنى .
- 2- تفسير القرآن العظيم , للحافظ ابن كثير دار المعرفة .
- 3- جامع البيان , لابن جرير الطبرى , دار المعرفة .
- 4- الجامع لأحكام القرآن للقرطبى , الشعب .
- 5- روح المعانى , للألوس , دار التراث .
- 6- زاد المسير , لابن الجوزى , المكتب الإسلامى .
- 7- فتح القدير , للشوكانى , دار المعرفة .
- 8- فى ظلال القرآن , لسيد قطب , دار العلم بينها .
- 9- الكشاف , للزمخشري , الريان .
- 10- محاسن التأويل , للقاسمى , دار الفكر .
- 11- المنار , لمحمد رشيد رضا دار المعرفة .

ب - حديث :

- 1- بلوغ المرام فى تخرىج الحلال والحرام , للألبانى , المكتب الإسلامى .
- 2- جامع الأصول , لابن الأثير , دار الفكر .
- 3- سنن النسائى بشرح السيوطى وحاشية السندى , دار الكتب العلمية .
- 4- سنن ابن ماجة بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي , المكتبة العلمية .

- 5- سنن الدرامى , دار الكتب العلمية .
- 6- سلسلة الأحاديث الصحيحة للألبانى الكتب الإسلامى .
- 7- شرح السنة للبعوى بتحقيق شعيب الأرنؤوط دار بدر .
- 8- صحيح الجامع الصغير وزيادات الألبانى , الكتب الإسلامى .
- 9- صحيح ابن ماجه , للألبانى , مكتب التربية العربية الدولى .
- 10- صحيح النسائى , للألبانى , مكتب التربية العربى الدولى .
- 11- صحيح الترمذى , للألبانى , مكتب التربية العربى الدولى .
- 12- عون المعبود شرح سنن أبى داود لشمس الحق أبادى
المكتبة السلفية.
- 13- عارضة الأحوذى شرح سنن الترمذى لابن العربى , دار
الوحي المحمدى .
- 14- فتح البارى شرح صحيح البخارى لابن حجر طبعة السلفية .
- 15- فيض القدير شرح الجامع الصغير , دار المعرفة .
- 16- مستدرک الحاكم وبهامشة التلخيص للذهبى , دار المعرفة .
- 17- مسند الامام أحمد بفهرس الألبانى , المكتب الإسلامى
- 18- موطأ مالك , ط الحلبي .
- 19- مسلم بشرح النووى , المطبعة المصرية .
- 20- المعجم الفهرس , لجماعة من المستشرقين , دار الدعوة .

ج - رقائق ومواعظ :

- 1- اسنثاق نسيم الأنس لابن رجب ، دار الفتح .
- 2- تفسير المعوذتين ، لابن القيم ، السلفية .
- 3- تليس إبليس ، لابن الجوزى المتنبي .
- 4- جامع لعلوم والحكم ، لابن رجب ، الحلبي .
- 5- الجواب الكافي ، لابن القيم ، دار عمر بن الخطاب .
- 6- شرح حديث (ما ذئبان جائعان) ، لابن رجب دار الفتح .
- 7- صيد الخاطر ، لابن الجوزى ، دار الكتب العلميه .
- 8- صيانه الإنسان ، لابن مفلح ، دار الكتب العلميه .
- 9- طريق الهجرتين ، لابن القيم ، السلفية .
- 10- رسالة المسترشدين للمحاسبي ، بتحقيق أبو غدة ، دار السلام .
- 11- روضة المحبين ، لابن القيم ، دار الصفا .
- 12- الرساله التبوكيه ، لابن القيم ، بتحقيق أشرف عبد المقصود ، التوعيه الإسلامية .
- 13- غالية المواعظ ، لنعمان محمود الالوسى ، دار المعرفة .
- 14- الفوائد ، لابن القيم ، دار الدعوة .
- 15- لطائف المعارف ، لابن رجب الحنبلى ، دار الجيل .
- 16- منهاج العابدين ، للغزالي ، مكتبة الجندى .
- 17- نور الاقتباس ، لابن رجب ، المدنى .
- 18- المدهش ، لابن الجوزى ، دار الكتب العلميه .
- 19- المصباح المنير للرافعى ، دار المعرفة .